



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف - المسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

رقم:

سياسة السلطان عبد الحميد الثاني

(1876-1909م)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر أكاديمي في التاريخ

تخصص: تاريخ الوطن العربي المعاصر

تحت إشراف الأستاذ:

- د. قويدر عاشور

إعداد الطالبة:

- سلاف تومي

لجنة المناقشة		
الصفة	الجامعة	الأستاذ(ة)
رئيسا	جامعة محمد بوضياف - المسيلة	- د. عبد الله مقلاتي
مشرفا ومقررا	جامعة محمد بوضياف - المسيلة	- د. قويدر عاشور
ممتحنا	جامعة محمد بوضياف - المسيلة	- د. خير عامر

السنة الجامعية: 1439-1440هـ / 2018-2019



اللهم أرزق قارئنا فتوح العارفين و صحبة
الصالحين و شهادة المجاهدين و علوم الأنبياء
و المرسلين و عمر نوح و بشرى يعقوب و حلم إبراهيم
و غنى سليمان و جمال يوسف و قوة موسى و صبر أيوب و بلاغة هارون
و شفاعة محمد صلى الله عليه و سلم
يا رب العالمين.

بإهداء

أرشدنا النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكافأة من أحسن النيات، فإن لم نجد فإننا ندعو جزاك الله خيراً .
روى أبو داود عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من صنع إليكم
معروفاً فكافئوه فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه " صححه الألباني
إلى التي احتضنتني وعلمتني معنى الحياة، الأروع مثال في الإخلاص والتقاني والعطاء والصبر والابتسام الراقية،
كنت تحرسين على مصلحة الجميع وتسدين النصح لنا حبيبتي الغالية "أمي" حفظك الله وأطال في عمرك
لتنيري حياتي دائماً

أمر أتعبه الزمن ليمهد لي طريق العلم والمعرفة، إلى القلب الكبير وأخص هذا الإهداء إلى والدي أطال الله بقاءه
والبسه ثوب الصحة والعافية، ومتعني ببه ورد جميله أهدي له ثمرة غرسه .
إلى كل من ساندني طوال مسيرتي الدراسية أهدي تخريج الأخي الكبير " عبد المالك وزوجته سميحة"، والأخ
" بلال" وفقهم الله في حياتهم لما ارتضاه.

إلى أختي الغالية " منيرة" أسأل الله أن يجعل حياتك أهناً وأسعد وأجمل من كل توقعاتك وأن يكتب لك بأيامك
القادمة فرحة تغير بها مجرى حياتك للأبد، وإلى أختي نادية وزوجها " عمر" أسأل الله أن يقدم لكم الخير حيث
شئتم ثم يرضيكم ويفرحكم

إلى كذا كتبت وبرا عم البيت: " وائل، محمد، لؤي، نسيم، عماد، محمد مصطفى"

وإلى الكوكبة الصغيرة " رهن" أنار الله دربكم ووفقكم في دراستكم .

جميل أن يكون قلبك قلب أنت صاحبه لك أجمل أن يكون لك صديق أنت قلبه

سلافة

أهدي عملي المصديقاتي وحبباتي: "سعدة، صبرينة، وفاء، بريزة، هاجر، بسمة،

شيماء"

أهدي عملي لكل الباحثين عن الحقيقة وكل الطلبة تمنى لكم التوفيق للوصول الى هدفكم.

شكر وعرفان

أشكر الله العليّ القدير الذي أنعم عليّ بنعمة العقل والدين القائل في محكم التنزيل

قوله تعالى: (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) سورة يوسف الآية 76

الحمد لله والصلاة والسلام على البشير النذير ، والشكر لله على ما منّ به علينا من نعم وبنعمته تتم الصالحات وبعد :

أتقدم بالشكر الجزيل للدكتور: "عاشور قويدر" ، على إرشاداته وتوجيهاته الحكيمة والرشيّدة ووقوفه إلى جانبي طيلة فترة انجاز هذه المذكرة دون كلل .

كما أتقدم بشكري الخاص للأستاذ "بوختالة خليل" على مساعدته الطيبة

كما أتقدم بالشكر أعضاء لجنة المناقشة الذين تفضلوا بقراءة هذه المذكرة

كما لا يفوتني أيضاً أن أقدم شكري إلى الطلبة الذين كانوا خير عون لنا في الحصول على الكتب .

كما أتقدم بالشكر الخالص لطاقم مكتبة النجاح على إتمام هذا البحث .

وإلى كل من ساهم ولو بكلمة تشجيع أو تحفيز من قريب أو بعيد في المساعدة في

هذا العمل .

قائمة المختصرات والرموز

- ص - الصفحة ←
- ج - جزء ←
- ط - طبعة ←
- د، م - دون مكان ←
- د، ت - دون تاريخ ←
- تر - ترجمة ←
- تعر - تعريب ←
- م - ميلادي ←
- هـ - هجري ←

مقدمة

مقدمة

مع مطلع القرن الثامن عشر بدأت الدولة العثمانية تشهد حالة من الضعف والاضمحلال، توازياً مع التطور الحضاري والتكنولوجي الذي عرفته أوروبا والتي قطعت شوطاً كبيراً في فرض سياسة الهيمنة العالمية، وبدأت تتبنى مصطلح ما سمي بالمسألة الشرقية، وفي ظل هذه الظروف الصعبة للدولة العثمانية حاول بعض السلاطين العثمانيين القيام ببعض الإصلاحات للخروج من هذه الوضعية ومن أبرزهم شخصية السلطان عبد الحميد الثاني، هذا السلطان الذي أثار جدل حفيظة الباحثين والمؤرخين، نظراً للسياسة التي انتهجها خلال فترة حكمه، والتي استطاع من خلالها رغم المعارضة التي واجهها، من أن يمد في عمر الإمبراطورية وتأجيل سقوطها، فهناك من رأى طريقة انفراده بالحكم هي الطريقة التي ألفها العالم منذ نشأته، في حين وصف البعض الآخر فترة حكمه بالاستبداد.

❖ أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع في أنه محاولة لدراسة فترة حاسمة من تاريخ عالمنا الإسلامي، وهي فترة تقويض إمبراطورية إسلامية بقيت ما يزيد على ستة قرون قطعتها خلال فترة التاريخ الوسيط والتاريخ الحديث، والتي شهدت تحالف الدول الأوروبية من أجل تفكيكها وتنافسهم في الوقت نفسه من أجل اقتسامها.

❖ أسباب اختيار الموضوع:

هناك العديد من العوامل التي دفعتنا لاختيار هذا الموضوع تنوعت بين الذاتية والموضوعية تمثلت في:

— الرغبة في كشف الحقائق التاريخية التي غيرت مجرى التاريخ ونظرة العالم لهذا السلطان، حيث لم تمض سوى عشرة أعوام على تعرض هذا السلطان لأشد الاقتراءات

مقدمة

ووصفه بالسلطان الأحمر والمستبد، حتى أصبح الآن يُشيدُّ به ويُغنى بسياسته التي وقفت في وجه الاستعمار والأطماع الصهيونية.

_ محاولة تحليل وتقييم سياسة السلطان عبد الحميد الثاني لما لعبته من دور ملموس في تاريخ العالمين العربي والإسلامي

_ محاولة معرفة حقيقة حزب الإتحاد والترقي والأهداف التي كان يسعى لتحقيقها تحت قيادة أنظمة أوروبية.

❖ الإشكالية:

شهدت فترة حكم السلطان عبد الحميد الثاني العديد من الأحداث التاريخية المهمة التي وُجِبَ الوقوف عندها ودراسة حيثياتها وتداعياتها، ولهذا كانت الإشكالية الرئيسية لهذا الموضوع هي:

_ ما مدى نجاح سياسة السلطان عبد الحميد الثاني في تأجيل سقوط الإمبراطورية العثمانية في ظل إثارة فكرة ما سمي بالمسألة الشرقية؟

_ كيف ساهمت شخصية عبد الحميد الثاني في توليه لعرش السلطنة والمحافظة على الحكم لمدى طويل في ظروف أثبتت وقوف هذه الدولة على حافة التمزق والانحيار؟
_ فيما تجلّت الظروف التي دفعت بالسلطان عبد الحميد الثاني للإعلان عن الدستور وإلغائه بعد فترة وجيزة؟

_ ما هي الإصلاحات التي قام بها السلطان للنهوض بالدولة والكف من التدخل الأجنبي في شؤونها؟

_ هل كانت محاولات الانفصال التي نشبت في عهد السلطان عبد الحميد الثاني وليدة الظروف الداخلية أم أنها نتيجة تحريض خارجي؟

_ هل تورط السلطان عبد الحميد في مذابح الأرمن؟ وما هي الظروف التي هيّئت الساحة لوقوع هذه المذابح؟

مقدمة

- _ إلى أي مدى كان نجاح فكرة الجامعة الإسلامية في توحيد مسلمي العالم تحت الخلافة العثمانية الإسلامية ومواجهة القوى الاستعمارية؟
- _ كيف واجه السلطان عبد الحميد الثاني موجة الاستعمار في ظل إتفاقيات التنازل التي تبادلت لها البلدان العربية الخاضعة للحكم العثماني؟
- _ ما هي موقف السلطان عبد الحميد الثاني من الحركة الصهيونية؟
- _ فيما تمثلت سياسة السلطان عبد الحميد الثاني اتجاه نشاط حزب الاتحاد والترقي؟ ولماذا تفادى السلطان الاشتباك مع جيش الحزب في ثورة الإنقلاب؟

❖ حدود الدراسة:

لقد حصرنا موضوع الدراسة في الفترة الممتدة ما بين سنة 1876_1909م، وهي فترة جد مهمة من تاريخ الدولة العثمانية، حيث في السنة 1876م اعتلى السلطان عبد الحميد الثاني عرش الإمبراطورية العثمانية في الوقت التي كانت فيه الدول الأوروبية تنهش الإمبراطورية من كل جهة من أجل تمزيقها وإسقاطها، هذا فضلاً عن بروز الحركة الصهيونية العالمية تبحث عن موطن قدم لها في الأراضي العثمانية .

أما تاريخ انتهاء الرسالة 1909م فهي السنة التي خلع فيها السلطان عبد الحميد الثاني من العرش على يد حزب الاتحاد والترقي الذي كانت تقوده الأنظمة الأوروبية و الماسونية .

❖ المنهج المتبع:

وللإجابة على هذه الإشكاليات اتبعنا المنهج التاريخي من خلال سرد الأحداث التاريخية وترتيبها ترتيباً كرونولوجياً، بالإضافة إلى المنهج الوصفي التحليلي، إذ حاولنا وصف الأحداث المهمة التي جرت في عهد السلطان عبد الحميد، ومحاولة تحليل حيثياتها والظروف المساهمة في حدوثها.

مقدمة

خطة البحث: قسمنا البحث إلى فصل تمهيدي وثلاثة فصول .

_ تطرقنا في الفصل التمهيدي إلى أهم الأحداث والوقائع التي شهدتها الدولة العثمانية على مدى قرون، من التأسيس إلى فترة قبيل اعتلاء السلطان عبد الحميد للعرش.
_ تناولنا في الفصل الأول شخصية السلطان من المولد والنشأة، ومنهج تفكيره، واعتلائه لعرش السلطنة العثمانية.

_ أما الفصل الثاني فكان موسوماً بالسياسة الداخلية للسلطان حيث تفرع إلى أربعة مباحث ركزنا في البداية على الإعلان عن الدستور وسياسة الإصلاحات ثم الحركات الانفصالية وأخيراً المسألة الأرمنية.

_ أما بالنسبة للفصل الثالث فكان بعنوان السياسة الخارجية للسلطان، حاولنا من خلاله إبراز فكرة الجامعة الإسلامية، بالإضافة إلى توجهاته السياسية في مواجهة الموجة الاستعمارية، ثم سلطنا الضوء على مواقف السلطان من الحركة الصهيونية، وأخيراً تطرقنا إلى عملية انقلاب التي قادها حزب الإتحاد والترقي وخلع السلطان.

❖ المصادر والمراجع:

ومن المصادر والمراجع التي كانت منبع لمعلوماتنا:

مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني الذي دون فيه كل مجريات فترة حكمه، بالإضافة إلى مذكرات ابنته عائشة عثمان أوغلي التي سردت كل الأحداث التي جرت مع والدها السلطان، ولهذا استعنا بهم في موك السلطان ونشأته.

مصطفى أرمان : السلطان عبد الحميد الثاني والرقص مع الذئاب، استعنا بهفي تحليل منهج تفكير السلطان وسياسته في التعامل مع القوى الاستعمارية.

أورخان محمد علي: السلطان عبد الحميد الثاني حياته وأحداث عهده، حيث أفادنا في عنصر اعتلاء السلطان للعرش.

مقدمة

محمد بن عبد الله آل زلفة: الإصلاحات العمرانية في الولايات العربية في عهد
السلطان عبد الحميد الثاني، استعملناه في مبحث الإصلاحات
إسماعيل أحمد ياغي: تاريخ العالم العربي المعاصر، حيث فادنا هذا الكتاب في سياسة
السلطان اتجاه الحركات الاستعمارية
محمد علي الصلابي: السلطان عبد الحميد الثاني وفكرة الجامعة الإسلامية وأسباب
زوال الخلافة العثمانية، قد أفادنا في السياسة الإسلامية للسلطان.
أنيس صايغ: يوميات هرتزل، بالإضافة إلى كتاب أحمد نوري النعيمي: اليهود والدولة
العثمانية، حيث أبرزت هذه الكتب مواقف السلطان عبد الحميد من الحركة الصهيونية.
أرنست رامروز: تركيا الفتاة وثورة 1908م، أفادنا في وصف حيثيات الانقلاب الذي
قام به حزب الإتحاد والترقي وخلق السلطان عبد الحميد.

❖ الصعوبات:

مثل كل بحث تاريخي لا يخلو من الصعوبات فقد واجهتنا صعوبات تمثلت في
اختلاف آراء المؤرخين الذين تناولوا الموضوع حول شخصية السلطان عبد الحميد
الثاني وتحليل سياسته من وجهات نظر مختلفة، لهذا وجب علينا التطلع على أكبر عدد
من الكتب ومحاولة تحليل أفكارها ومقارنتها من أجل الوصول إلى حقائق تاريخية
بعيدة عن الذاتية، هذا فضلاً عن تعذر الحصول على مصادر عثمانية وأجنبية تناولت
هذا الموضوع.

الفصل التمهيدي

الدولة العثمانية من التأسيس

إلى العهد الحميدي

1. تأسيس الدولة العثمانية
2. فتح القسطنطينية على يد محمد الفاتح 1453م
3. العصر الذهبي للدولة العثمانية في عهد سليمان القانوني
4. بداية ضعف الدولة العثمانية وظهور المسألة الشرقية
وعهد التنظيمات

1- تأسيس الدولة العثمانية:

في منطقة ما وراء النهر والتي نسميها اليوم (تركستان) والتي تمتد من هضبة منغوليا وشمال الصين شرقاً، إلى بحر الخزر (بحر القزوين) غرباً، ومن السهول السيبيرية شمالاً إلى شبه القارة الهندية وفارس جنوباً، استوطنت عشائر الغز⁽¹⁾ قبائلها الكبرى، وعرفوا بالترك أو الأتراك، ثم تحركت هذه القبائل في النصف الثاني من القرن السادس عشر الميلادي للانتقال من موطنها الأصلي نحو آسيا الصغرى في هجرات ضخمة⁽²⁾، وذلك عندما أحسوا بقرب خطر المغول⁽³⁾، فعبروا إيران واقتربوا من الأناضول⁽⁴⁾، وكانت عدتها 400 خيمة تضم حوالي 4000 فرد، كان يرأس هذه العشيرة

(1) - تجسج المصادر القديمة على العنصر الذي أُجِب أسرة آل عثمان، والذي يعتبر بالضرورة النواة الأولى للدولة العثمانية عنصر غز أي تركماني، لا يفرق في ذلك على أغلبية الترك الذين وفدوا مع السلاجقة، ينظر: محمد فؤاد كوبريلي، قيام الدولة العثمانية، جز ١، معين التاريخ لأهل التاريخ، تر: أحمد السعيد سليمان، تق: أحمد عزت عبد الكريم، المؤسسة المصرية العامة، مصر، 1967، ص 118.

(2) - علي محمد محمد الصلابي: الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ط 1، دار الشارقة، مصر، 2001، ص 25.

(3) - المغول: ظهور المغول كقوة حاكمة كان في القرن الحادي عشر، وأول زعيم عظيم لهم هو جنكز خان (1206-1227)، وبعد من أند وأقسي القادة الذين روى التاريخ أخبارهم، فقد اكتسحت جموعه شمال الصين وتركستان والفرس وروسيا، ودمرت كل من يقع تحت نظرها، وامتد سلطان المغول بعد موته إلى وسط أوروبا، وقضى حفيده (هولاكو) على الخلافة العباسية سنة 1258م، ومن أهم خلفائه قبلاي خان (1259-1294م) الذي اتخذ بكنين عاصمة له، إلا أن دولته انضمحت بعد موته وجاء تيمورلنك (1369-1405م)، واتخذ سمرقند عاصمة له، وكان يريد إخضاع جميع العالم لسلطته، لكن دولته انقرضت بعد موته ولم يبقى لها أثر إلا في الهند، حيث أسس (باير) وهو من نسل تيمورلنك سنة 1525م دولة المغول العظيمة، التي خلفت فيها أودع الأثار واستمرت إلى أن قضى عليها الإنجليز في القرن الثامن عشر، ينظر: موفق بني مرجة: صحوة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية، مؤسسة صقر الخليج، مطابع دار الكويت للصحافة "الأبناء"، الكويت، 1984، ص 39.

(4) - الأناضول: يطلق العرب على منطقة الأناضول التي نزل بها الأتراك اسم بلاد الروم أو أرض الروم وهو تعبير جغرافي وسياسي وديني، فالروم أصحاب المذهب الرومي الأرثوذكس، وبعد زوال إمبراطورية بيزنطة وفتح القسطنطينية أصبح يطلق على سلاجقة الروم، ثم على الأتراك الذين حلوا محلهم، ينظر: موفق بني مرجة: المرجع نفسه، ص 39.

الفصل التمهيدي: الدولة العثمانية من التأسيس إلى الحكم الحميدي

رجل تركي يدعى كوندوز آلب، خلفه في رئاسة العشيرة بعد وفاته ابنه أرطغرل والد الأمير القبلي عثمان، مؤسس دولة آل عثمان والذي عرفت الدولة العثمانية باسمه⁽¹⁾. وفي هذه الفترة من الزمن دارت في منطقة أرزنجان_ وهي المنطقة الواقعة في الشمال الشرقي من تركيا اليوم_ معركة سميت باسم تياسي جمن" بين سلطان قونية السلجوقي وبين جلال الدين خوارزم شاه خاقان تركستان، وكاد سلطان قونية أن يهزم فإذا بعشيرة الغز تتدخل في المعركة لصالحه فتقبله من عثرته، وتتسبب في انتصاره حتى أنها لم تكن تدري من أمر هذا القتال شيئاً، لكنها كانت في إطار نجدة الملهوف ونصرة الضعيف⁽²⁾، ومن الأمور المؤكدة أن أرطغرل غازي وعشيرة قابي قد اكتسبوا تقدير البادشاه التركي، وكفئوا على ذلك بتمكينهم من الحصول على أراضي في الغرب على الحدود البيزنطية⁽³⁾.

وهكذا استوطن أرطغرل وعشيرته في القسم الشمال_الغربي من الأناضول، وقد كان ذلك في عام 1231م على أرجح الأقوال⁽⁴⁾، إلا أن هذا الأخير لم يقتنع بمهمة المحافظة على الحدود، بل شرع يهاجم باسم السلطان علاء الدين الأول ممتلكات الدولة البيزنطية في الأناضول، وضم إلى المنطقة التي يحكمها مدينة أسكي شهر⁽⁵⁾، وفي عام 656هـ/1258م ولد لأرطغرل ولداً سماه عثمان، وعثمان هذا نشأ وترعرع بين الحروب والغزوات، ولما شب سار على خطى أبيه في محاربة البيزنطيين حتى نال

(1) محمد حرب : العثمانيون في التاريخ والحضارة، رئيس المركز المصري للدراسات العثمانية، القاهرة، 1994، ص 9-

10.

(2) المرجع نفسه، ص 10.

(3) ينماز أوزونتا: تاريخ الدولة العثمانية، ج 1، تر: عدنان محمود سلمان، مؤسسة فيصل للتصوير، إسطنبول، تركيا، 1988، ص 86-87.

(4) نفسه، ص 87.

(5) إسماعيل أحمد باغي: التوتة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، ط2، مكتبة العبيكان، 1998، ص 10.

الفصل التمهيدي: الدولة العثمانية من التأسيس إلى الحكم الحميدي

شهرة عظيمة ولقب بقره عثمان، وتزوج بابنة شيخيسمي "اده بالي"، وفي عام 1281/680م

توفي أرطغرل في سن التسعين، وفي عام 1299/699م أعلن عثمان استقلاله، وخطب باسمه في قره حصار التي فتحها وأطلق عليها هذا الاسم وجعلها مقراً لحكمه⁽¹⁾. وفي خمسينات القرن الرابع عشر كانت الدولة العثمانية مجرد إمارة من الإمارات الحدودية الكثيرة، إلا أن الأحداث التي تلت سنة 1352م وطدت تفوق هذه الدولة وجعلت كل الإمارات الأخرى تابعة لها خلال ثلاثة عقود من الزمن، وارتبط هذا التحول الحاسم بكسب العثمانيين لموطئ قدم لهم في البلقان، يتيح لهم التوسع باستمرار في اتجاه الغرب⁽²⁾.

2- فتح القسطنطينية 1453م:

وفي 29 ماي من عام 1453م تم فتح القسطنطينية⁽³⁾ وحدث ذلك على يد السلطان العثماني محمد الفاتح⁽⁴⁾، وقد جرت أحداث الفتح بعد أن أبدى استعداداته بتحصين البوسفور من

(1) - زين حيد الصميدعي، جمال الدين فالح الكيلاني: تاريخ الدولة العثمانية رجال وحوادث، ط 1، المنظمة المغربية، المغرب، 2013، ص ص 10-11.

(2) - خليل إنجيبيك: تاريخ الدولة العثمانية عن النشوء على الإنحدار، تر: محمد م. الأرتنؤوط، ط 1، دار الإسلامي، لبنان، 2002، ص 19.

(3) - يقول البارون كار توفو* في كتابه مفكرو الإسلام: إن فتح القسطنطينية لم يكن عصادفة أو نتيجة ضعف بيزنطة بل كان السلطان محمد الفاتح يستخدم أحدث ما وصل إليه العلم في عهده، فعمل على تركيب أضخم شدافع وكان أسطولها يقدر بمائة وعشرين سفينة...، ينظر: موفق بني عرجة، مرجع سبق ذكره، ص 40.

(4) - محمد الفاتح: وولد هذا السلطان في 26 رجب سنة 833/20 أفريل سنة 1429، وهو سابع سلاطين هذه السلالة الملوكية، ولما تولى بعد ذلك ملكه عليه لم يكن بأسيا مسغرى خارجاً عن سيطرته إلا جزء من بلاد شفرمان وعدينة سينون، وكُتب أنه بعد أن أمر بنقل جثة والده إلى مدينة بورصة دفنها بها أمر بقتل أخ له رضيع اسمه أحمد، وبارجاع الأميرة مزرا الصربية إلى والدها، ثم أخذ يستعد لتتميم فتح ما بقي من بلاد البلقان ومدينة قسطنطينية حتى تكون جميع أملاكه متصلة لا يتخللها عدو مهاجم أو صديق منافق. ينظر: محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العثمانية، نج: إحسان حقي، ط 1، دار النفاس، لبنان، 1981، ص ص 160-161.

الفصل التمهيدي: الدولة العثمانية من التأسيس إلى الحكم الحميدي

أجل قطع الإمدادات من جهات طرابزون⁽¹⁾، وحاصر المدينة براً وبحراً ونصب المدافع، خاصة الضخمة منها حولها، ثم أذّر قسطنطين⁽²⁾ بالتسليم طوعاً متعهداً عدم المساس بحرية مواطنيه وأموالهم، فرفض قسطنطين فعند ذلك بدأ الاستعداد للهجوم، حيث توجهوا إلى كنيسة آيا صوفيا التي تحولت إلى مسجد، وسميت المدينة بعد ذلك إلى إسلام بول⁽³⁾، وفي أثناء الحصار اكتشف قبر أبي أيوب الأنصاري الذي استكشف حين حصار القسطنطينية في سنة 52هـ في خلافة معاوية بن أبي سفيان الأموي، وبعد الفتح بُني له مسجد⁽⁴⁾ جامع⁽⁵⁾، ثم أقام السلطان المأدب لجنوده وأكرم الشيوخ، واستمرت الاحتفالات ثلاثة أيام متوالية ووزعت العطايا، وخطب العالم "أق شمس الدين" وقال: "يا جنود الإسلام اعلموا واذكروا أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال في شأنكم: "لتفتحن القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش"⁽⁶⁾.

وعلى الرغم من هذا الانتصار والفتح العظيم إلا أن المهمة التي كانت بعده لم تكن سهلة يسيرة، ولم يكن بمثابة النهاية لآمال السلطان الواسعة، حيث حمل هذا السلطان رسالة نشر الإسلام في العالم، وإرساء قواعد حكم سليم لدولة عظيمة تدين بهذا الدين... إذ كانت

(1) طرابزون: هي مدينة قديمة بناها على البحر الأسود تبعد 140 كيلومتراً على مدينة أرضروم، ويضن أنها معاصرة لمدينة ثروادة الشهيرة واسمها مشتق من لفظ (ترابزون) اللاتينية ومعناها الشكل الصعيق، ولما انقسمت المملكة الرومانية إلى شرقية وغربية ظلت تابعة للمملكة الشرقية إلى سنة 1204م حيث فتحها الإفرنج الذين أتوا أثناء حرب الصليب، ثم سكنها أحد أعضاء عائلة (الكومين)، وأسست بها مملكة طرابزون التي استمرت مستقلة، ولو أنها تابعة اسماً إلى مملكة الروم بالقسطنطينية إلى أن فتحها العثمانيون سنة 1461م، ينظر: محمد فريد بك الحمصي، عصر سبق ذكره، ص: 160.

(2) قسطنطين (توفي عام 1453م): هو قسطنطين الحادي عشر آخر أباطرة البيزنطيين، نادى بالإنحياز بين الكتيبتين الشرقية والغربية ليحصل على مساعدة من لغرب ضد العثمانيين عام 1452م وفشل، دافع عن القسطنطينية ضد جيش سلطان محمد الفاتح، ينظر: محمد حرب، متكررات سلطان عبد الحميد الثاني، مرجع سبق ذكره، ص: 280.

(3) علي حسون: العثمانيون وشرق، ط1، المكتب الإسلامي، لبنان، 1982، ص ص: 25-26.

(4) مسجد أبي أيوب الأنصاري مبني فوق ربوة ذات طلالة على القرن الذهبي جميلة جداً، ولكنه مسجد مهم ولا ينبغي ببدا الصحابي الجنيل، ينظر: محمد فريد بك الحمصي، عصر سبق ذكره، ص: 162.

(5) محمد فريد بك الحمصي: نفسه..

(6) علي حسون: العثمانيون ولبلقن، ط2، المكتب الإسلامي، بيروت، 1986، ص: 109.

الفصل التمهيدي: الدولة العثمانية من التأسيس إلى الحكم الحميدي

منشآت الدولة العثمانية في عهد محمد الفاتح تفوق مستوى ذلك العصر، لهذا كانت دولته أقوى الدول الكبرى في القرن الخامس عشر ميلادي، إذ استطاعت أن تزيل بقايا الدول التي كانت هشة وغير مستقرة سواء في آسيا الصغرى أو في بلاد أوروبا الشرقية، واتخذت لها عاصمة جديدة عظيمة متوسطة المركز بين بلادهم الآسيوية وممتلكاتهم الأوروبية وتشرف على البر والبحر⁽¹⁾.

3- العصر الذهبي للدولة:

وعلى عهد السلطان سليمان الأول القانوني⁽²⁾ ابن سليم الأول أحرزت الدولة العثمانية انتصارات، واجتاحت جيوشها أقاليم شاسعة في جنوب شرقي أوروبا ووسطها، ووصلت في فتوحاتها إلى فيينا عاصمة النمسا، وهي أقاليم لم تخضع قط من قبل لحاكم مسلم، حيث قامت بدور هام في نشر الإسلام في ربوع هذه الأقاليم، فانتابت الحكومات الأوروبية موجة من الهلع خوفاً من اندفاع الدولة الإسلامية باتجاههم، ما دفعها إلى التكتل في محاولة لدرء الخطر عنها، في موجات تبادت إليها البابوية وأسهمت فيها دول أوروبية عديدة⁽³⁾، وذلك في عام 967هـ توجه القبطان شايبالي بعمارة عظيمة إلى جزيرة جرجا

(1) عبد السلام عبد العزيز فهمي: السلطان محمد الفاتح، فاتح القسطنطينية وقاهر الروم (833_886/1429_1481م)، ط5، دار تلم، دمشق، 1993، ص ص147-148.

(2) سليمان القانوني(1494_1566) بوند سليمان الأول بطرانزون حيث قضى أبوه السلطان بايوز سليم الأول سنواته كولي للعهد وحاكم عليها، وكان الابن الوحيد له، ف تلقى تعليماً جيداً جداً منذ طفولته، وترى بعناية فائقة وقد تركز تعليمه على إدارة الدولة والجيش والعلوم الإسلامية، و في سنة 1515م اعتلى سليم الأول عرش السلطنة العثمانية، وأصبح بذلك سليمان القانوني والياً على 'صاروهان' (مانيسا الآن في غربي الأناضول) حتى وفاة والده، وفي 30 سبتمبر/ أيلول سنة 1520م أي بعد ثمانية أيام من وصول الأتباع الحزينة على وفاة والده وصل إلى إسطنبول وجلس على العرش، ورغم أن عهد هذا السلطان قد بدأ بفرص عظيمة فإنه اضطر في سنوات حكمه الأولى على الكفاح ضد الثورات التي نشبت في الأناضول ومصر، واستطاع أن يوسع في إمبراطوريته باحتلاله للعديد من البلدان والمنطق وعلى رأسهم جزيرة رودس التي استطاع أن يستولي عليها في عامه الثاني بعد توليه العرش، ينظر: صالح كولن، سلاطين الدولة العثمانية، تر: منى جمال الدين، دار النيل، مصر، (د، ت)، ص ص 102-103.

(3) محمد سهيل طقوش: تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، ط3، دار انفا، بيروت، لبنان، 2013، ص9.

الفصل التمهيدي: الدولة العثمانية من التأسيس إلى الحكم الحميدي

وتملكها بعد حصار ثلاثة شهور وقبض على حاكمها واحضره إلى إسلامبول، فلما بلغ ذلك ملك اسبانيا ركب بلاد الجزائر وأخذ بعض قلاع ومراكب الدولة، فغضب السلطان من ذلك وعزم على فتح مالطة، فساق إليها القبطان شاييالي بعمارة مؤلفة من مئة وواحد وثمانين مركباً،

وفي اليوم العشرين من شهر مايو من عام 1565م وصلت المراكب إلى تلك الجزيرة ورمتها بنيران مدافعها حتى دمرت حصونها واستلمتها بعد سبعة أيام، ثم سار السلطان إلى بغداد وهو مريض ومنها إلى سملين فتسلمها وافتتح قلاع وبلدان، وتوفي عام 974هـ فأخفى محمد باشا الصقلي قائد الجيوش خبر وفاته مدة ثلاثة أسابيع حتى وصل إسلامبول ودفنه بترتبه المنيفة، عاش أربعة وسبعين سنة قضى منها على تخت السلطنة 48 سنة⁽¹⁾.

4- بداية ضعف الدولة العثمانية:

ولكن وبوفاة السلطان سليمان الأول القانوني في عام (973هـ/1566م)، ينتهي العصر الذهبي للدولة العثمانية ليبدأ عصر آخر شهد تراجعاً عثمانياً، بفعل حالة الاسترخاء التي كان يمر بها المجتمع ع العثماني والأجهزة الحاكمة من جهة، والوثنية الأوروبية نحو عصر جديد من التطور من جهة أخرى⁽²⁾، وهكذا أخذت تخبو القوة العثمانية بشكل سريع بعد أن سادت القناعة بالتفوق الأوروبي في القرن الثامن عشر، حيث أصبحت الدولة العثمانية تخضع لأوروبا سياسياً واقتصادياً، وقد أدى الوجود الطويل لهذه الدولة واحتمالات سقوطها إلى أن تتحول إلى مشكلة في السياسة الأوروبية، أو ما سمي بالمسألة الشرقية⁽³⁾.

(1) عزتو يوسف بك آصاف: تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن، كلمات لترجمة والنشر، القاهرة، مصر،

(د، ت)، ص 70.

(2) محمد سهيل طنوش، مرجع سبق ذكره، ص 10.

(3) خليل إنجيوك، مرجع سبق ذكره، ص 9-10.

الفصل التمهيدي: الدولة العثمانية من التأسيس إلى الحكم الحميدي

ولم يكد ينقضي القرن الثامن عشر، وبيزغ القرن التاسع عشر حتى كانت الإمبراطورية العثمانية التي ما فتئت تتصدر لمقام القيادة في العالم الإسلامي، قد انتهت الدرك الأسفل من الضعف والانحطاط، فقد سبق لجارتها الشماليتين (النمسا وروسيا) أن انتزعتا منها عدداً صالحاً من ممتلكاتها الهامة، وفي هذه الفترة الحرجة كان طلب الإصلاح (تنظيمات) يطغى بصرف النظر عن عدد من حركات الارتداد على السياسة الداخلية في الإمبراطورية، فقد كان ثمة رغبة في أن تستفيد الإمبراطورية من تلك المؤسسات التي كانت تعتبر أساساً لتقدم الشعوب الأوروبية وامتيازها⁽¹⁾.

ويعتبر السلطان عبد المجيد أول سلطان في آل عثمان يضفي عل حركة تغريب الدولة العثمانية صفة الرسمية، إذ أنه أمر بتبني الدولة لهذه الحركة وأمر بإصدار فرماني التنظيمات عامي 1856 - 1864م وبهما بدأ في الدولة العثمانية ما يسمى بعهد التنظيمات_ وهو اصطلاح يعني تنظيم شؤون الدولة وفق المنهج الغربي وبهذين الفرمانين تم استبعاد العمل بالشريعة الإسلامية، وبدأت الدولة تستلهم روح الغربية في الحياة، وتستلهم الفكر الغربي في التقنين وإقامة المؤسسات⁽²⁾.

وحينما استلم السلطان العثماني عبد العزيز الحكم سار على نهج أسلافه من إصلاح الأحوال ومعاملة جميع الرعايا على السواء بدون النظر إلى جنسهم أو دينهم، حتى لا يكون لدول أوروبا سبيل للتدخل في شؤون الدولة بحجة طلب المساواة⁽³⁾، إلا أنه بالإضافة إلى الأزمة المالية كان أكبر تحدي أمام السلطان هو الثورات الداخلية التي حركتها التدخلات الأجنبية، وكان السبب الواضح لهذه الثورات هو أن غير المسلمين لم يكونوا سعداء بالحقوق التي منحها لهم المراسيم السلطانية، فاستغلت القوى الأوروبية

(1) كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، تر: نبيه أمين فارس ومنير انجليكي، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 1968، صص 537-538.

(2) محمد حرب: مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني، تر: تق، محمد حرب، ط3، دار القلم، دمشق، 1991، ص17.

(3) محمد فريد بك السحامي: مصدر سبق ذكره، ص532.

الفصل التمهيدي: الدولة العثمانية من التأسيس إلى الحكم الحميدي

العظمى هذا الاستياء بشكل كامل كوسيلة للتدخل في الشؤون العثمانية الداخلية، وفيما كانت الدولة العلية مشغولة بإخماد هذه الثورات، كانت روسياتقوم بإثارة الصرب⁽¹⁾ وسكان الجبل الأسود⁽²⁾ للثورة مثل الآخرين، لكن هذه الثورات تم قمعها نسبياً في وقت قصير⁽³⁾.

وفي ظل هذه الأجواء أدرك حزب تركيا خطورة الموقف، واتحد مع أعضائه الذين أدخلوا إلى الوزارة واستصدروا فتوة بخلع السلطان عبد العزيز في ماي 1876م، وبعد خمسة أيام أشيع موته، واختلف فيه لأنه قيل أنه قتل عمداً وقيل أيضاً أنه انتحر بقطع شرايين ذراعه بالمقص، فخلفه السلطان مراد⁽⁴⁾ إلا أن حادثة مقتل عمه السلطان عبد العزيز أوجبت اختلال شعوره، فخلع بفتوة من شيخ الإسلام وذلك بعد ثلاثة أشهر وثلاثة أيام من جلوسه⁽⁵⁾، وبعدها أرسلوا في طلب مولانا الجديد السلطان عبد الحميد الثاني⁽⁶⁾.

(1) - الصرب: في الأصل هي الإقليم الشمالي من يوكوسلافيا، ويدخل فيه بتركاد ثم إنه امتد حتى استولى على كثير أبلاد المعروفة اليوم باسم يوكوسلافيا، وهو اليوم إحدى جمهوريات اليوكوسلافيا وعاصمته بلكراد، ينظر: محمد فريد بك الصحامي: مصدر سبق ذكره، ص.535.

(2) - الجبل الأسود: ويسميه الأتراك قره طاغ، وهو إقليم صغير في يوكوسلافيا على شاطئ الأدرياتيكى إلى الشمال من ألبانيا، استقل سنة 1878م بموجب معاهدة برلين، وأصبح مملكة عام 1910م، وتضم إلى يوكوسلافيا 1911م، المصدر نفسه، ص.538.

(3) - صالح كوتون: مرجع سبق ذكره، ص.300-301.

(4) - عزتو يوسف بك آصاف: مصدر سبق ذكره، ص.134.

(5) - نفسه، ص.134.

(6) - محمد فريد بك الصحامي: مصدر سبق ذكره، ص.587.

الفصل الأول:

لمحة عن شخصية السلطان عبد الحميد الثاني.

المبحث الأول: المولد و النشأة

المبحث الثاني: منهج تفكيره

المبحث الثالث: السلطان عبد الحميد يعتلي العرش

الفصل الأول: _____ لمحة عن شخصية عبد الحميد الثاني

تمهيد:

اتسم السلطان عبد الحميد الثاني منذ طفولته بالذكاء والحيلة، فكان فطناً في أمور الدنيا على غرار المحيطين به من الأمراء الذين كانوا يعيشون حياة الزهد والغوص في ملذات الدنيا، ولهذا كان عمه السلطان عبد العزيز معجب بشخصيته فحاول تثمينها، وذلك بمرافقة عبد الحميد له في مجالسه حتى يزداد حنكة ويكسب وعي سياسي يُمكنه من إدارة الإمبراطورية التي ورثوها من أسلافهم في المستقبل ، وهذا ما نجح فيه السلطان عبد الحميد الثاني عندما أُنْعِمَ رجال الدولة العثمانية من انه يستحق أن يكون رجل دولة يُعتمد عليه في إدارة إمبراطورية عظيمة.

الفصل الأول: _____لمحة عن شخصية عبد الحميد الثاني

المبحث الأول: لمحة لحياة السلطان عبد الحميد الثاني

المولد والنشأة:

عبد الحميد الثاني هو الابن الثاني للسلطان عبد المجيد خان الأول، الذي ولد بعد مراد الخامس، وهو يصغر مراد بستين بالضبط، ولد على الساعة الخامسة من صباح يوم 22 سبتمبر عام 1842م في السراي الهمايوني بجاغران القديم، وكان عند ولادته ولي عهد ثالث، وظل كذلك طيلة مدة سلطنة والده، ثم ولي العهد عمه عبد العزيز أفندي، وولي العهد الثاني لأخيه الكبير مراد أفندي⁽¹⁾. وبمناسبة ولادته أصدر والده السلطان عبد المجيد أوامره بإقامة مظاهر الفرح في أرجاء الدولة، فقد جاء في البلاغ السلطاني الموجه إلى وزيره ما يأتي: "إلى وزيرى المخلص... بعد الحمد للطف والعناية العلية لخالق الكون، نرف إليكم وإلى جميع الرعية بشرى قدوم أمير من صلبننا الطاهر إلى عالم الشهود في السادس عشر من هذا الشهر الحالي، وقد سميت عبد الحميد... ولكي تأخذ الرعية نصيبها من البهجة في هذه المناسبة السعيدة، فإن المدافع ستطلق خمس مرات يومياً و لمدة سبعة أيام⁽²⁾."

وقد تعرض السلطان عبد الحميد إلى الطعن في نسبه وأصوله، فطعن في أصل أمه، فيذكر المستشرق كارل بروكلمان أن أم السلطان عبد الحميد أرمنية، وكأنه يتساءل عن السبب في عدم تقرب السلطان للعنصر الأرمني وتفضيل الأكراد رغم

(1) - يلماز أوتونا: تاريخ الدولة العثمانية ج2، تر: عدنان محمود سلمان، مراجعة وتقيق: محمود الأنصاري، ط1، شركة الهلال، إسطنبول، 1990، ص95.

(2) - أورخان محمد علي: السلطان عبد الحميد الثاني حياته وأحداث عهده، ط1، إسطنبول، 2008، ص ص51-52.

الفصل الأول: _____لمحة عن شخصية عبد الحميد الثاني

أنهم أخواله،⁽¹⁾ أما ماري ملز باتريك فتقول: "كان عبد الحميد أحد أولاد عبد المجيد الذين تولوا

العرش، وعندما أقول الأشقياء الأربعة في تركيا أعني غير ما نعرفه نحن في أمريكا لأن الشقيق في تركيا يكون لأم وأب، وعندما عرفت أخلاق عبد الحميد بدأت الشائعات تدور حول مولده فذهب بعضهم على أنه ابن راقصة أجنبية جاءت القصر، فاحتفظ بها السلطان أما المصادر الرسمية فلا تتعرف للميلاد بما يريب"⁽²⁾، ومن الذين شككوا أيضاً في نسب السلطان عبد الحميد في كتاباتهم "ألما ولتن" إذ نجدها تقول: "وظل منشأ الطفل مشكوكاً فيه وكان يغذي هذا الشك تلك القصة التي تناقلتها نساء الحریم اللواتي لم يكن أحد أشد حياً منهنّ للقليل والقال، أن نسب الطفل لأب أرمني يدعى بدروس، و سرعان ما برزت إشاعة جديدة داخل جدران الحریم، مفادها أن الأب الأرمني قد اختفى ليس فقط من الحریم بل من وجه الأرض"⁽³⁾، (ينظر الملحق رقم 01، ص97)

والحقيقة أن والدة شهزاده⁽⁴⁾ عبد الحميد أفندي، هي زوجة السلطان الرابعة تيرموشكان شركسية الأصل، كزوجات أكثرية السلاطين المتأخرين، رفعت في 1849م إلى رتبة الزوجة الثالثة⁽⁵⁾، وقد تربي عبد الحميد في حجر والدته، التي كانت تسرّ لذكائه وحدة

(1) - محمد قربان نياز ملا: السلطان عبد الحميد الثاني و اثره في نشر الدعوة الإسلامية، ط 1، مكتبة المنارة، دار البشير الإسلامية، بيروت، 1988، ص73.

(2) - ماري ملز باتريك: سلاطين بني عثمان صفحات من تاريخ تركيا الاجتماعي والسياسي والإسلامي، ط 1، مؤسسة عز الدين للطباعة و النشر، لبنان، 1986، ص106.

(3) - محمد قربان نياز ملا: مرجع سبق ذكره، ص74.

(4) - شهزاده: لقب ولي العهد وأبناء السلاطين؛ ينظر: محمود عامر، المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية، مجلة دراسات تاريخية، العددان: 117، 118، دمشق، 2013، ص375.

(5) - يلماز أوتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج2، مرجع سبق ذكره، ص95.

الفصل الأول: _____لمحة عن شخصية عبد الحميد الثاني

ذهنه، فلم تنشئه على الخوف والغضب أو القصاص، بل على الحب التي كانت تمنحه منه المزيد على مرّ الزمان، إلا أنّ والدته توفيت عام 1849م بمرض السل، وهي لم تتجاوز بعد عامها السادس والعشرون⁽¹⁾، وتقل لنا عائشة ابنة السلطان عبد الحميد حسرته عن أمه إذ تقول: "وحينما كان يتحدث والدي عن أمّه كان يقول: أمي المسكينة تركتنا وهي في سن الشباب، خيالها أمام عيني دائماً، لئن أنساها ما حييت، فقد كانت تحبني كثيراً، وكانت تجعلني أجلس أمامها طوال مرضها وحسبها أن تنتظر إلي ولم تكن ترضى لنفسها لأن تقبّلي رحمة الله عليها" وتواصل عائشة كلامها فتقول: كانت والدة أبي تيرموشكانقادين أفندي أمّا لأميرين وأميرة، فكانتا الأميرة نعيمة أول أطفالها، أصيبت في مارس 1843م بمرض الجدري، فتوفيت وعمرها عامين ونصف، وثانياً أطفالها هو والدي، أمّا الثالث فهو الأمير محمد عابد أفندي توفي في ماي 1848م ولم يبلغ من العمر سوى شهرين على وجه التقريب⁽²⁾.

وهكذا فقد عبد الحميد أفندي والدته وعمره 10 سنوات، وكان من السائد إعطاء أولاد البادشاهات الذين توفيت أمهاتهم إلى زوجات البادشاهات اللواتي لا يلدن أو اللواتي فقدن أولادهنّ للعناية بهم، ليكنّ أمهات معنويات لهم، وكانت خلال هذه الأيام باش إقبال⁽³⁾ بره ستوخانوم أفندي⁽⁴⁾، الزوجة الخامسة للسلطان عبدالمجيد، ولم تكن قد رزقت أولاداً،

(1) - محمد قربان نياز ملا: مرجع سبق ذكره، ص 75.

(2) - الأميرة عائشة عثمان أوغلي: والدي السلطان عبد الحميد الثاني، تر: صالح سعداوي صالح بط 1، دار البشير، الأردن، 1991، ص 66.

وتقول عائشة: وقد أطلق والدي هذين الاسمين على أخي الأمير محمد عابد أفندي وأختنا الأميرة نعيمة، أنظر: الأميرة عائشة عثمان أوغلي، المصدر نفسه.

(3) - باش إقبال: وهو مصطلح يمنح لثلاثة من محظيات السلطان. ينظر: محمود عامر، مرجع سبق ذكره، ص 367.

(4) - بره ستو: هي الزوجة ثلث سلطان عبد المجيد الأول، قامت بتربية عبد الحميد الثاني وأخته جميلة بعد وفاة والدة كل منهما، تنسب لقبيلة أو بوخ عن الشراكسة الففقس، لم تكن تتجب الأبناء، وهي امرأة نحيفة ناعمة الملامح، زرقاء

الفصل الأول: لمحة عن شخصية عبد الحميد الثاني

وكانت بر ستوقادين التي عهد إليها بالسلطان عبد الحميد أفندي تكبره ب 12 سنة، وقد أولته حبا وعناية بتربيته كأم حقيقية⁽¹⁾، ولهذا كان أول ما فعله السلطان في اليوم التالي من توليه العرش أن قبل يد مربيته وقال لها: "إنني لم أشعر في يوم من الأيام بحرمانني من والدتي، وأنت في نظري مثلها تماما، لا فرق بينكما، إنمكانيك هي مكانة والدة السلطنة، وسوف يكون من حقاك استخدام كل صلاحيات الوالدة في السراي⁽²⁾، غير أنني أرجو منك بصورة خاصة أن تتجنبي أبدا التدخل في شؤون الدولة، فتسعينلحماية هذا أو ذاك و تساعدين الطامعين في الرتب و المناصب"⁽³⁾، وقد بقيت برسوة هانم حتى وفاتها مراعية لرجاء ابنها السلطان، وعندما توفيت أوصت بجميع ثروتها لابنها الذي أحبته، ودفنت حسب وصيتها في مقبرة الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري (رضي الله عنه)، فقد كانت في حياتها شديدة التدين⁽⁴⁾.

أما ظروف نشأة السلطان فيذكر في مذكراته: "لعلهم ينسون الظروف التي نشأت وترعرعت فيها، لقد عاش إخوتي من بنين وبنات حياة مليئة بالعطف والدلال،

العنين، تميزت بالاحتشام و الوفاق، نذرت حياتها لتربية عبد الحميد الثاني وأخيه جميلة لقد أحبها السلطان عبد الحميد الثاني كثيرا، وعندما كان يفتح الحديث عنها بعد وفاتها كان يقول: لو كانت أُمي على قيد الحياة لكانت ربني بنفس التقدير الذي قامت به بره ستوخانوم، كان يتحدث عنها بكل حب وتقدير، وأصبحت السلطنة الوالدة على الرغم من أنها لم تتجب سلطان، كانت امرأة تقيّة لم تضر أحدا، وقد أهدى السلطان عبد العزيز زمن سلطته، داراً كبيرة في منطقة (ماجقا)، حيث كان يزورها بين الحين و الآخر، توفيت في دارها هذه عن عمر فوق الثمانين، ودفنت في الضريح الذي=كانت قد شيده في حي أيوب، ينظر: عيسى سعد العيد الله، السياسة الخارجية للدولة العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني 1876_1909م، مقدمة كجزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، منشورات، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة بيروت العربية، 2016، ص 11.

(1) - يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج2، مرجع سبق ذكره، ص ص 95-96.

(2) - السراي: دار الحكومة قصر، في الولايات مقر الوالي، في إسطنبول مقر السلطان؛ ينظر: محمود عامر، مرجع سبق ذكره، ص 374.

(3) - الأميرة عائشة عثمان أوغلي: مصدر سبق ذكره، ص ص 68-69.

(4) - أورخان محمد علي: مصدر سبق ذكره، ص 54.

الفصل الأول: _____ لمحة عن شخصية عبد الحميد الثاني

بينما كان أبي يعاملني معاملة سيئة وقاسية لأسباب أجهلها، لم يعطف علي سوى أخي مراد المسكين، كانت حياتي منذ بدايتها متسمة بالجدية، ما أحببت اللعب أبداً، بدأت أفكر في الكون والوجود وأنا في مقتبل العمر، وكان حبي للخيال سبباً في تعرضي لجزر أساتذتي

و تكدير والدي، وقد أدت عدم تفهم الناس لأفكاري إلى الانطواء عل نفسي انطواءً كاملاً⁽¹⁾.

تلقى عبد الحميد تعليماً منتظماً في القصر السلطاني، بالإضافة إلى أن معلميه في القصر كانوا من أبرز رجالات عصره علماء وخلفاء، وقد تعلم من اللغات العربية والفارسية، ودرس التاريخ وله بعض الأشعار باللغة التركية العثمانية، كان له اهتمام بالسلاح، و كان يجيد استخدام السيف وإصابة الهدف بالطبنجة (المسدس)، ويثابر على الرياضة البدنية، واحتفظ بمجموعته من الأسلحة التاريخية، وبجانب هذا كله كان له اهتمام بمعرفة أخبار السياسة العالمية ومكانة بلاده فيها، حيث كان له أتباع يكلفهم بجمع الصحف والمجلات الأوروبية لقراءتها ثم ترجمتها له⁽²⁾ كما درس العلوم الإسلامية وخاصة الحديث البخاري، بالإضافة إلى الاقتصاد السياسي عن وزير المعارف محمد طاهر منيف باشا عام 1876م، وأيضاً الأدب الفرنسي عن الصدر الأعظم إبراهيم أدهم باشا، وآداب الطريقة الشاذلية عن شيخه طرابلس غربلي محمد ظافر أفندي، وبعد وفاة هذه الشخصية تلقى آداب الطريقة القادرية على يد شيخه عبد الله أفندي، ودرس علوم التصوف اعتباراً

(1) - السلطان عبد الحميد الثاني: مذكراتي السياسية، تر: محمد حرب، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1979، ص 211.

(2) - محمد حرب: السلطان عبد الحميد الثاني آخر السلاطين العثمانيين الكبار، ط1، دار القلم، دمشق، 1990، ص 31-31.

الفصل الأول: _____لمحة عن شخصية عبد الحميد الثاني

من 1879م ، وتعلم العسكرية على يد ضباط عديدين، وأشرف على تدريسه جميع هذه الدروس وامتحنه فيها أحمد كمال باشا (1).

قضى الأمير عبد الحميد شبابه في إسطنبول، وبعد وفاة والده انتقل إلى بيته الصيفي في طرابيا ثم في بيته ومزعتة في ماصلاك، مشغولاً بهواياته المتعددة...كالتجديف بالقارب واستعمال القارب الشراعي وركوب الخيل والصيد (2).
وعرف عن السلطان عبد الحميد أنه كان نجاراً ماهراً إضافة إلى مهاراته في الزخرفة، وكانت له في القصر أدواته الخاصة، وكان قد بدأ في تعلم هذه المهنة بترغيب من نجارٍ نمساوي كان موظفاً في القصر، كان يرتدي زي العمل في أوقات فراغه، ويدخل ورشة النجارة بصحبة اليوزباشي محمد أفندي من معلمي مصنع الأسلحة، ويغيب عن نفسه هناك لساعات طويلة يمضيها في تفصيل المكاتب والمخازن والمناضد (3).
وبالإضافة إلى ذلك كان مولعاً برسم المناظر الطبيعية وخاصة الزهور، وقد رسم مرة صورة وجه زوجته شفقت خانوم في الأيام الأولى من زواجه منها، كما اهتم بالموسيقى (العزف عن البيانو خاصة)، إذ كان لكل أمير بيانو خاص به، وكان أستاذه فرنسياً يدعى ألكسندر (4) وقد أمر ببناء مسرح في القصر، حيث كان يشاهد المسرحيات والمسرحيات الغنائية _ الأوبرا _ مع عائلته، وكانت مسرحية الشاعر الألماني فريديريك بعنوان قطاع الطرق من أحب المسرحيات إليه، ولأترافيا، عائدة، كارمن، فوست وماسكوتن أهم

(1) -يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج2، مرجع سبق ذكره، ص97.

(2) -أورخان محمد علي: مصدر سبق ذكره، ص54.

(3) -مصطفى ارمان: السلطان عبد الحميد والرقص مع الذئاب، تر: مصطفى حمزة، ط1، الدار العربية، لبنان،

2012، ص72.

(4) -أورخان محمد علي: مصدر سبق ذكره، صص54-55.

الفصل الأول: لمحة عن شخصية عبد الحميد الثاني

المسرحيات الغنائية لديه، غير أنه لم يكن ليغيب عن محيطه بالغرق في مشاهدة المسرحيات، بل يسارع إلى دعوة باش كاتبه أو أركان دولته من الحاضرين في المسرح ، أو أحد رجالات قصره، كلما تذكرُ أمراً مهماً⁽¹⁾.

وروجت وسائل الإعلام الأوروبي الإشاعات البغيضة بأن قدّمت السلطان عبد الحميد للعالم على أنه ذلك السلطان الأحمر، الدكتاتور، الظالم، الجاهل، مصاص الدماء، عنوان الجهل والتخلف، تحمل ظمناً مسؤولة تدمير الدولة العثمانية⁽²⁾، ويذكر رفيق شاعر الننتشة: "وأنا هنا لست بمعرض الدفاع عن السلطان عبد الحميد الثاني ولكن إنصافاً لهذا الرجل لا بد أن نذكر الحقيقة التي تبرّكه من كثير ممّا ألصق به...فقد كتب عنه جون هاسلب في كتابه السلطان الأحمر عبد الحميد: لقد استقبل مجيء السلطان عبد الحميد باحترام بالغ من الدول الكبرى لجديته وعدم انغماسه بالتطرف والمذات"⁽³⁾، وقد استمرت حملات المارونية على السلطان حتى دخلت إلى كتب الأدب والتاريخ المقررة على المدارس في أغلب البلاد العربية وظلت هذه الكتابات تلج على تصوير السلطان عبد الحميد بصورة الطاغية المتسلط فترة تزيد على خمسين عاماً ثم بدأ ينكشف موقف السلطان جزئياً بعد ترجمة بروتيكولات حكماء صهيون التي كشفت مخطط المؤامرة على الدولة العثمانية والخلافة خاصة بعد ترجمة مذكرات هرتزل، الذي روى بإضافة وتوسع قصة الوساطة بينه وبين السلطان وعروضه وردّ السلطان عليها⁽⁴⁾.

وقد تمثل أعداء السلطان عبد الحميد في حياته في:

(1) - مصطفى ارمعان: المرجع السابق، ص72.

(2) - رفيق شاعر الننتشة: عبد الحميد الثاني وفلسطين، ط3، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، 1991، ص 48-49.

(3) - نفسه، ص49.

(4) - أبو الجندي: تصحيح أكبر خطأ في تاريخ الإسلام الحديث، السلطان عبد الحميد والخلافة الإسلامية، ط 1، دار زينون، بيروت لبنان، دار الكتب السلفية، القاهرة، 1407هـ، ص ص96-97.

الفصل الأول: _____لمحة عن شخصية عبد الحميد الثاني

- الأرمن وثوراتهم ضد حكم الدولة والسلطان عبد الحميد.
 - الحركة القومية في البلقان بهدف الانفصال عن الدولة.
 - الحركة القومية الكردية التي ظهرت منذ عام 1880م، وقد بدأت بمحاولات اتحاد 30 عشيرة كردية متنافرة.
 - الحركات الانفصالية عن الدولة العثمانية في الوطن العربي وفي غيره.
 - حركة تركيا الفتاة.
 - حركة الاتحاد والترقي التي عملت على قلب الأوضاع السياسية في الدولة.
 - اليهود وسيطرة الحركة الصهيونية على سياسات الدول الأوروبية المعادية⁽¹⁾.
- وهكذا لمع السلطان كحاكم ديمقراطي لم ير مثله من قبل، وتحللت فترة توليه الحكم كحاكم من سلاطين بني عثمان التي استمرت 32 سنة و 7 أشهر و 27 يوماً من حيث طول المدّة المركز الخامس بعد السلطان سليمان القانوني، وعثمان الغازي، ومحمد الرابع، وأورخان غازي، بينما تحللت فترة حكم السلطان محمد الفاتح في المركز السادس⁽²⁾.

المبحث الثاني: منهج تفكيره

كانوا يروني رجلاً تتخبطه الأوهام غير أنني لم أكن سوى امرئ غير مغفل⁽³⁾!!!
وصفه أبوه بالشكاك والكتوم، يشبه السلطان عبد العزيز في نوع حياته، فهو شرقي ومسلم كامل وعثماني كامل، ومسلم تركي كامل، حتى اشتهر بين الناس بأنه من أولياء الله لتقواه

(1) - رأفت غنيم الشيخ: التاريخ المعاصر للأمة العربية الإسلامية، ط1، دار الثقافة، القاهرة، 1992، ص. 9-10.

(2) - سيف الله الأربنجي: السلطان عبد الحميد الثاني مشاريعه الإصلاحية وإنجازاته الحضارية، تر: عيبر سليمان، ط1، دار النيل، القاهرة، 2011، ص. 19-20.

(3) - مصطفى ارمغان: مرجع سبق ذكره، ص. 17.

الفصل الأول: لمحة عن شخصية عبد الحميد الثاني

وصلاح حاله⁽¹⁾، كان مقتصداً لكنه لم يكن شحيحاً، ففي الوقت التي بلغت فيه ديون أخيه الكبير مراد أفندي مليون قطعة ذهبية عام 1876م تقريباً، بلغت قيمة مزارعه وأمواله غير المنقولة وسندياته وجواهره ونقوده ملايين القطع الذهبية⁽²⁾، ولكن أنظروا كيف حاول أعداؤه قلب هذه الخصلة الحميدة إلى مسبة وإلى مذمة، إذ أطلقوا عليه في كتاباتهم لقب "عبد الحميد البخيل" ويقول أحدهم: كان عبد الحميد في أيام إمرته يحب المال كثيراً، ولما كان يعرف إدارة المال جيداً، فلم يكن مديناً لأحد كغيره من الأمراء، إذ كان ينقذ بنفسه حساباته، ويأخذ على عاتقه إدارة أملاكه والتصرف بنقوده، ويشرف على الأعمال المتعلقة بوزارات مزارعه⁽³⁾.

كان حذراً، قليل الكلام، كثير الإصغاء، كان ولو عاباً جداً بتمحيص أخلاق البشر والنفوذ إلى نقاط ضعفهم، من الصعب جداً غشه، انتمى إلى جمعية العثمانيين الجدد⁽⁴⁾ في بداية تشكيلها كأخيه الكبير مراد، وخلال سنة اكتشف غاية الجمعية ووجدتها مضرّة بمصالح الدولة فسحب يده منها، كما كان السلطان عبد الحميد يقابل الشعراء والفنانين والصحفيين ورجال الدولة والأجانب ويحميهم ويهتم بهم⁽⁵⁾.

(1) - أحمد آق كوندز، سعيد أوزتورك: الدولة العثمانية المجهولة، 303 سؤال وجواب توضح حقائق غائبة عن الدولة العثمانية، وقف البحوث العثمانية، إسطنبول، 2008، ص 427.

(2) - يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج 2، مرجع سبق ذكره، ص 99.

(3) - أورخان محمد عني: مصدر سبق ذكره، ص 55.

(4) - جمعية العثمانيين الجدد: تأسست هذه الجمعية بإسطنبول، في حزيران 1865م، على يد شباب برون في حركات الإصلاح لرشيد باشا و عالي باشا وفزاد باشا شيئاً قليلاً، ويطالبون (بتأريب) أكثر. وهذا التأثير نتيجة لحصول أكثرهم على العلوم في الدول الأوروبية، وفي مقدمتهم محمد بك، كمال بك، رفيق بك، رشاد بك، نوري بك وأية بك، تجمعهم سمة مشتركة وهي أنهم أبناء باشوات وأغنياء، ينتمون إلى طبقة اجتماعية راقية... أنظر: أحمد آق كوندز، سعيد أوزتورك: مرجع سبق ذكره، ص 424.

(5) - يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج 2، مرجع سبق ذكره، ص 99.

الفصل الأول: _____ لمحة عن شخصية عبد الحميد الثاني

ولقد اشترك الأمير عبد الحميد في الرحلة التي قام بها عمه السلطان عبد العزيز إلى فرنسا، ومنها إلى إنجلترا، وقد اشترك في هذه الرحلة أيضاً أخوه ولي العهد مراد، وفي هذه الرحلة تميّز سلوك الأمير عبد الحميد بالوقار والهدوء، بعكس تصرفات ولي العهد الأمير مراد الذي تميّز بالطيش والترف، فالكاتب الإنجليزي جون هاسلب يذكر بأنه بينما كان ولي العهد يتناول ويجرب كل أنواع المسكرات في الحفلات التي تقام لهم، لم يكن الأمير عبد الحميد يمدُّ يده إلى قدح الشراب أبداً، بل كان يراقب بكل أسف أخيه الذي لم يتمكن من السيطرة على حركاته وكلامه (1)، ولما كان الأمير عبد الحميد قد استعدَّ للرحلة الملكية إلى أوروبا بمطالعات واسعة، فإنه كان دقيقاً في رؤيته، وفي حكمه للأشياء التي قد رآها في الغرب، وعلى الأمور التي أطلع عليها هناك، والتقى الوفد العثماني في هذه الرحلة بمشاهير العصر سياسياً: نابليون الثالث في فرنسا والملكة فيكتوريا في إنجلترا وليوبولد الثاني في بلجيكا وغلوم الأول في ألمانيا وفرانسو جوزيف في النمسا (2)، ولفت انتباه الأمير عبد الحميد في هذه الرحلة الحوار الذي كان يجريه فؤاد باشا (3) مع بعض الزعماء الأوروبيين، حيث سئل فؤاد باشا: بكم تباعون جزيرة كريت؟ فردَّ الباشا قائلاً: بالثمن الذي اشتريناه، وكان يقصد الحرب، ثم سئل مرة أخرى: ما هي أقوى دولة

(1) - أورخان محمد علي: مصدر سبق ذكره، صص 55-56.

(2) - محمد حرب: السلطان عبد الحميد آخر السلاطين العثمانيين الكبار، مرجع سبق ذكره، ص 33.

(3) - فؤاد باشا: (1815-1869) صدر اعظم ورجل دولة، يعرف أيضاً بلقب فؤاد باشا الكبير، وانه عزت ملا ناصر عثمانى معروف، وجده قاضي عسكر مصطفى زاده القونوي، تولى منصب الصدارة العظمى في عهد السلطان عبد العزيز، دراسته طبية عسكرية، لكنه التحق بعد تخرجه بدائرة الترجمة بالباب العالي، فارتقى فيها بسرعة لذكائه الحاد، كُفَّ بمهمة إعادة الهدوء إلى لبنان بعد الفتنة الدامية، بين المارون والندروز، التي راح ضحيتها نحو 12,000 نسمة، وأحدثت رد فعل في الشام، حيث جرت حوادث مشابهة، استطاع فؤاد باشا بعد حصوله على صلاحيات واسعة أن يعيد الأمن إلى المنطقة، ممَّا لفت إليه الأنظار، تولى الصدارة مرتان، توفي في مدينة نيس الفرنسية، حيث كان يتعالج فيها من مرض القلب. أنظر: موفق بني مرجة: مرجع سبق ذكره، ص 75.

الفصل الأول: _____ لمحة عن شخصية عبد الحميد الثاني

في العالم الآن؟ فردًا: الدولة العثمانية، ذلك لأنكم تسعون لتهديمها من الخارج ونحن من الداخل ولم يستطع كلانا هدمها، هنا تعلم عبد الحميد القدرة على إسكات القوى التي تحاول تحطيم دولته، وتعلم ذكاء الحوار السياسي، وهو ما برع فيه لاحقاً⁽¹⁾.

ومن بين مئات الأقوال الهامة التي ترددت على ألسنة دبلوماسي الدول العظمى في عصر عبد الحميد عبارة ذات مغزى وهي: "إنَّ عبد الحميد يتقن العواء مع الذئاب" وأصل هذا المثلَّ الإنجليزي wolveswithhowling وهو يعني عندما تكون في قمة جبل وتحاصر الذئاب، يمكنها أن تدعك وشأنك وتتركك تتجو بنفسك، فقط عندما تستطيع أن تعوي مثلها وتقنعها بأنك واحد منه"، فينطبق هذا المثل على سياسة عبد الحميد مع الدول الأوروبية التي كانت تنظر الفرصة للقضاء على الدولة العلية⁽²⁾، فقد كان السلطان عبد الحميد يمتلك من الذكاء والذاكرة وقوة التأثير ما جعله يعجب به الصديق والعدو على حدٍّ سواء⁽³⁾، فقد قال جمال الدين الأفغاني بعد أن التقى بالسلطان وتعرف إلى مشروعه في الجامعة الإسلامية وأسلوبه في العمل السياسي مع دول أوروبا: "إنَّ السلطان عبد الحميد لو وزن مع أربعة من نوابغ رجال العصر لرَجَّحهم ذكاء ودهاء وسياسة، فلا عجب إذ رأيناه بذلك ما يقام لملكه من الصعاب من دول الغرب، ذلك أنه يعلم دقائق الأمور السياسية ومرامي الدول الغربية" وقد وصفت خطة السلطان بأنها تمثل سياسة التوازن الدولي التي كان من شأنها أن تبقى الدول الغربية متحاسدة متنازعة في الأمور التي تتعلق بتركيا ومستقبلها⁽⁴⁾.

(1) - علي محمد محمد الصلابي: الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ط 1، دار البيارق، مصر، 2001، ص ص 400-401.

(2) - مصطفى ارمغان: مرجع سبق ذكره، ص 75.

(3) - السلطان عبد الحميد: مصدر سبق ذكره، ص 14.

(4) - ابور الجندي: مرجع سبق ذكره، ص ص 100-101.

الفصل الأول: _____ لمحة عن شخصية عبد الحميد الثاني

ومن سياسته أيضاً التروّي وضبط النفس فلم يكن ليتخذ أمراً دون تفكير... فهو لم يكن مستبداً بقرار من قرارات الدولة، على عكس ما نشره أعداؤه بعد عزله، وقد اتبع بالنسبة لظروف زمانه سياسة شورية إسلامية صحيحة... و نتيجة لهذه السياسة المتزنة، فقد استطاع السلطان عبد الحميد أن يحفظ الدولة من الضياع، فجمع شتاتها ووجد كلمتها وأظهر مرونة على خصومه في الداخل فكان يتعقبهم ليتعرف على أهدافهم ونقاط ضعفهم، بحيث يتمكن من ملاطفتهم وتلبية رغباتهم⁽¹⁾.

وكما تحث الجاسوس اليهودي الأصل ترغولو غارمينوسويميري الذي يزعم أنه استطاع أن يكتسب صداقة عبد الحميد، وتعرف عليه عن قرب فيقول: "إن السلطان عبد الحميد واحد من أكثر الأمراء الذين عرفتهم في الشرق تهذيباً ورحمة ولطفاً وتقديراً لمنازل الناس، وبتواضعه المبالغ فيه وبساطة سلوكه وصوته الحنون⁽²⁾، ونظراته الأليفة والحنونة"، وتقول عائشة عن والدها: لقد كان والذي دقيق في تنظيم أوقاته وأستطيع القول أنه ربط كل عمل من أعماله بساعة محدودة، وعاش حياة منتظمة، على وتيرة واحدة" أما الجانب الديني فنقول: كان الوالد يلح على كل شخص أن يصلي ويذهب إلى المساجد، وكان الأذان المحمدي يقرأ خمس مرات يومياً في حديقة السراي الخاصة، وكان والذي دائماً ما يرتد عبارة الدين والعلم ويقول: "إن الاعتقاد فيهما معاً جائز"⁽³⁾.

المبحث الثالث: السلطان عبد الحميد يعتلي العرش

بعد أن قطع الأطباء الأمل بشفاء السلطان مراد، اتجهت الأنظار إلى ولي العهد عبد الحميد، الذي كان يراقب كل شيء بهدوء من بيته، وفي إسطنبول التي كانت تعج بجواسيس الدول الأجنبية، نشطت السفارات في جمع المعلومات عن السلطان المرتقب،

(1) - محمد قربان نياز ملا: مرجع سبق ذكره، ص 80، 82-83.

(2) - مصطفى أرمغان: مرجع سبق ذكره، ص 48.

(3) - الأميرة عائشة عثمان أوغلي: مصدر سبق ذكره، ص 79-80.

الفصل الأول: _____ لمحة عن شخصية عبد الحميد الثاني

وكانت المعلومات التي تردّها عن عبد الحميد تشير إلى سوء صحته، وأنّه إذا إعتلى العرش لن يلبث إلاّ مده تكفي لكي يؤسس المشروعية، ذلك أنهم كانوا يشاهدون تردد الطبيب الشخصي لولي العهد إلى منزله والحقيقة كانت شيئاً آخر، فولي العهد كان يجري اتصالاته الكثيرة بواسطة طبيبه الشخصي (1).

ولكن لما كان الشغل الشاغر لرجال الانقلاب_ لاسيما مدحت باشا (2) _ هو إعلان الدستور، فإنّ معرفة موقف ولي العهد من هذا الموضوع، ومدى تجاوبه معهم كان أمراً ضرورياً قبل إعلان خلع السلطان مراد، وتنصيب عبد الحميد مكانه، ولذلك قرر زيارة عبد الحميد للوقوف على آرائه، ولم يبد عبد الحميد أي اعتراض على إعلان الدستور، ويقول عبد الحميد عن هذا اللقاء: " .. سألاني عن شكل الحكم الذي سأختاره، هل سيكون حكماً مشروطياً أم استبدادياً؟ فأجبتهم أنني أعتقد بأنّ الإدارة المشروعية هي الأفضل (3)، ويقول السلطان عبد الحميد في مذكراته: كيف يمكنني أن أعتمد على رجال أمثال مدحت باشا ورشدي ونوري؟ هؤلاء يصرون على تسميتي بصاحب الشوكة من جهة، ويدعون أنهم بهذا الدستور سيكسبون الإمبراطورية العثمانية منجزات حضارية، أليس ذلك بالأمر

(1) - أورخان محمد علي: مصدر سبق ذكره، ص 56-57.

(2) - مدحت باشا (1822-1885): واسمه أحمد شفيق، دراسته الأولى شرقية، فتعلم العربية والفارسية فأجادهما، وتوظف في قلم انديوان في الباب العالي، وتعلم اللغة الفرنسية أيضاً، عين عام 1860م والياً على نيش، ثم عين والياً على الطرقة عام 1864م لمدة ثلاثة سنوات، عاد بعدها إلى إسطنبول ليُشغل منصب رئيس شوري الدولة لمدة عام واحد، وفي مقابلة له مع السلطان عبد العزيز تمكن من إقناعه بعزل محمود نديم من الصدارة، وأنه جدير بهذا المنصب، فتم تعيين مدحت باشا صدرأ أعظماً لأول مرة 1872م، كان له الدور في عزل السلطانين عبد العزيز ومراد الخامس، إلاّ أنّ قدوم السلطان عبد الحميد وبسبب اندفاع مدحت باشا وسلوكه الشخصي، قام السلطان بنفيه وإبعاده نظراً لخطورته على الدولة... أنظر: موفق بني مرجة: مرجع سبق ذكره، ص 55.

(3) - أورخان محمد علي: مصدر سبق ذكره، ص 57-58.

الفصل الأول: _____ لمحة عن شخصية عبد الحميد الثاني

المضحك؟ إذا كنت مع ذئاب فلعليك بالعواء"⁽¹⁾. وبعد أن اشترط المغفور له مدحت باشا ثلاثة شروط تمثلت في:

- إعلان القانون الأساسي
- استشارة الوزراء في أمور الدولة
- تعيين ضيا بك⁽²⁾ وكمال بك كاتبين خصوصيين للمابين⁽³⁾ وسعد الله بك باشكاتباً⁽⁴⁾، لأنهم من الأحرار الحريصين على إجراء أحكام القانون الأساسي⁽⁵⁾، قرروا بوجوب المبايعة لمولانا السلطان عبد الحميد خان الثاني حفظه الله بالسبع المثاني، لما رأوه في جلالته من الذكاء والظن والميل للتقدم والإصلاح، وبعثوا بخبر إلى والدته السلطان مراد

(1) - السلطان عبد الحميد الثاني: مصدر سبق ذكره، ص 31-32.

(2) - ضيا بك: (1825-1880)، أحد الرواد الثلاثة الذين أسهموا في حركة تطوير أدب اللغة التركية منذ منتصف القرن التاسع عشر، باقتباس الآراء والأساليب اللغوية والفكرية والاجتماعية الأوروبية في الألبان التركي والابتعاد عن الاقتباسات الفارسية والعربية، وكانت الثقافة الفرنسية هي المنهل الذي استقى منه أولئك الرواد الثلاثة هذا الاتجاه التركي الحديث، أما زملاؤه فكانوا إبراهيم باشا شناس (1826-1871)، ونامق كمال (1840-1888)، الحقه والده بمدرسة علوم النحو التي أنشأها السلطان محمود الثاني في جامع استيمانية، وقد كان ضيا بك من أنصار رشيد باشا، ولما عين عام 1867م حاكماً على جزيرة قبرص، انتهز فرصة وجوده بها، فترك منصبه سخطاً على الأوضاع السائدة في اثونة على عهد السلطان عبد العزيز وسافر إلى أوروبا، حيث عاش منفياً، ولما مات عالي باشا أذن له في العودة إلى إسطنبول، حيث عينه السلطان عبد الحميد في أواخر سن 1876م والياً على الشام ومنحه رتبة الباشاوية ودرجة وزير. أنظر: عبد العزيز محمد الشناوي: الدولة العثمانية دولة إسلامية مقترى عليها، ج 3، (د، ط)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2004، ص 23.

(3) - المابين: هو القسم الواقع في القصر السلطاني ما بين الحرم (جناح الحرم) ومابين الثوائر الخارجية، وهو المكان الذي يقضي فيه السلطان يومه، والأمور التي يتم عرضها على السلطان من لدن الصدر الأعظم ترفع إلى هذه الدائرة فيطلع عليها السلطان ثم يأمر بما يراه، سهيل صابز، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مر: عبد الرزاق محمد حسن بركات، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000، ص 198.

(4) - باشكاتباً: رئيس الكتاب أي رئيس الديوان، ينظر: محمود عامر، مرجع سبق ذكره، ص 367.

(5) - عزتو يوسف بك أصناف: مصدر سبق ذكره، ص 137-138.

الفصل الأول: _____ لمحة عن شخصية عبد الحميد الثاني

يخبروها بذلك، فأجابت باستحسان ما قرّروه لما عهدته في السلطان مراد من اختلال وعدم التفقه للأمور الدولية، ولما هي عليه من الفطنة والميل للإصلاح، وعليه فقد استفتوا مولانا المفتي بجواز عزل مراد⁽¹⁾.

وهكذا اعتلى السلطان عبد الحميد خان الثاني عرش الدولة العثمانية يوم الخميس 21 من أغسطس عام 1876م بآءاً على وعد بينه وبين مدحت باشا⁽²⁾، فاستقال رشدي باشا من الصدارة العظمى لنفاد صبره من مناورات مدحت باشا فعين السلطان هذا الأخير محلّه⁽³⁾.

وعندما اعتلى السلطان عبد الحميد الثاني العرش جابهته مشاكل كبيرة في الداخل والخارج، فقد سقط قبله في شهور قليلة سلطانين، استشهد أحدهما وجنّ الآخر، وقد شارك كبار ضباط الجيش ورجال الدولة وأذنبوا في هذا⁽⁴⁾، ولم تكن هذه المآسي على المستوى العائلي وحدها من المشاكل التي صاحبت تولي هذا السلطان لمقاليد الحكم⁽⁵⁾، فقد كان عليه مواجهة انتشار الفكر الغربي في الطبقة المثقفة، وطبقة رجال الحكم وعلية القوم وافتتان كثير من هؤلاء بما عند أوروبا من تقدم حضاري وفنون وآداب، حتى أصبحت لندن وباريس وفيينا قبلة هؤلاء المفتونين، وما تبع ذلك من اندفاعهم في هوة التقليد

(1) - إبراهيم بن عمر بن علي العبيدني المالكي: فلاتك العصيان في مفاخر دولة آل عثمان، صاحب جريدة شمس الحقيقة، مصر، 1317هـ، ص123.

(2) - سيف الله الأربنجي: مرجع سبق ذكره، ص18.

(3) - أحمد أف كوندز، سعيد أوزتورك: مرجع سبق ذكره، ص428.

(4) - مصطفى حنفي: الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2004، ص69.

(5) - محمد بن عبد الله آل زلفه: الإصلاحات العمرانية في الولايات العربية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني على ضوء الوثائق والصور الفوتوغرافية، ط1، دار بلاد العرب، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2012، ص5.

الفصل الأول: _____ لمحة عن شخصية عبد الحميد الثاني

الأعمى، لكل ما هو غربي على كل المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية⁽¹⁾.

وبالإضافة إلى ذلك، ساهم ظهور الجمعيات الماسونية ذات الأهداف الخبيثة، في تأجيج الوضع والتي عملت على نشر الأفكار القومية الطورانية، والتي تتعارض مع عقيدة الولاء، وكانت هذه الجمعيات تحمل أسماء أدبية وعلمية للتمويه والتضليل، وكان النصراني هم نواة هذه الجمعيات عند ظهورها وكانت الإرساليات التنصيرية هي الداعم الأول لهذه الجمعيات، وكانت جمعية تركيا الفتاة هي أشهر هذه الجمعيات⁽²⁾، ومن الأحوال الداخلية أيضاً هي الأحوال الاقتصادية الخائفة، إذ كانت الدولة على وشك الإفلاس⁽³⁾، فقد قدرت الديون 2,522,010,885 ليرة عثمانية فاستعد السلطان لمواجهة هذا الموقف، ولكي يرد من اعتبار الدولة اتجاه الدول الأجنبية، استخدم عدداً من الخبراء الماليين الأوروبيين، فأعدوا له تقريراً حول إمكانية وفاء هذه الديون، وعندما تقرر تشكيل إدارة الديون العامة، كان إجمالي هذه الديون قد انخفض إلى 106437234 ليرة عثمانية⁽⁴⁾.

ومن العقبات الكبرى التي لا تقل أهمية والتي كان على عبد الحميد مواجهتها أيضاً هي تلك الظروف السياسية التي كانت تعصف بأحوال الدولة، فقد تطورت الحركات القومية والانفصالية في البلقان نتيجة للتأثيرات القادمة من عواصم أوروبا المختلفة، وأيضاً حركات العصيان التي كانت قد بدأت في البوسنة والهرسك وبلغاريا في الأيام

(1) - محمد خير الفلاحه: الخلافة العثمانية من العهد إلى العهد، (د، ن)، (د، م)، 2005، ص 69.

(2) - محمد خير الفلاحه: المرجع السابق، ص 69.

(3) - محمد بن عبد الله آل زلفه: مرجع سبق ذكره، ص 5.

(4) - السلطان عبد الحميد الثاني: مصدر سبق ذكره، ص ص 11-12.

الفصل الأول: _____ لمحة عن شخصية عبد الحميد الثاني

الأخيرة من حكم عبد العزيز، وكان هناك استياء ضد الصرب والجبل الأسود اللذين أشعلوا الحرب في عهد مراد الخامس⁽¹⁾.

وفي هذه الأجواء تقلد مولانا السلطان أعزّه الله السيف المنيف في جامع أبي أيوب الأنصاري، على ما جرت عليه العادة، وكان ذهابه إلى هذا الجامع في موكب حافل لم يسبق له مثيل⁽²⁾، حيث وصفته ماري ملز قائلة: ...وفي الصباح انتقل عبد الحميد الثاني إلى القصر الملكي يحرسه وزير الحربية، وكوكبة من الفرسان، وفي القصر كان كبار

رجال الدولة بالانتظار، وقد أعلنوا اعتلاء السلطان الجديد وسط عاصفة من الهتاف: "لحي السلطان"، ثم سار المجتمعون إلى سرغليو، المكان التي أعدت فيه النقابات البحرية، فامتطوها إلى ضولمة بجمعة... وقد كانت مدافع اليوسفور تملأ الجو رهبة وتزيد الموكب أبهة وعظمة، ثم دوى صوت المؤذن يدعو للصلاة... وكانت الجموع هادئة أثناء القيام بعملية تقليد السيف⁽³⁾ داخل جامع أبي الأنصاري المقدس القريب من شواطئ القرن الذهبي ومن أسوار بيزنطة⁽⁴⁾.

وأثناء عودته زار جلالته قبر والده المرحوم السلطان الغازي عبد المجيد المنفون بجامع السلطان سليم، ثم زار ضريح السلطان محمد الفاتح رحمه الله، فقبر جدّه السلطان محمود مبيد

(1) - الأميرة عائشة عثمان أوغلي: مصدر سبق ذكره، ص 13.

(2) - محمد فريد بك المحامي: مصدر سبق ذكره، ص 587.

(3) - تقليد السيف: كان من العادات المتبعة في الدولة العثمانية تقليد السلطان السيف أثناء جلوسه على تخت السلطنة، وغيرها من البلاد الإسلامية، ويزون أن أول من تقلد السيف هو مراد الثاني، حيث قلده أمير بخارى في بورصا عام 1421م، وكان منشي العادة المتبعة بتقليد السيف في مسجد أبيو باسطنبول هو محمد الفاتح، حيث قلده شيخه آق شمس الدين، ينظر سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000، ص 74.

(4) - ماري ملز باتريك: مصدر سبق ذكره، ص 108-109.

الفصل الأول: _____ لمحة عن شخصية عبد الحميد الثاني

الإنكشارية_ طيب الله ثراه_، وأخيراً قبر عمه شهيد الشهداء السلطان عبد العزيز_ غفر الله له⁽¹⁾، وفي مساء يوم 15 سبتمبر تناول الطعام في قصر "بلدز" مع الوزراء ورجال الدولة ورجال القصر، وألقى خطبة عن حتمية أن ينسى جميع الحاضرين كل خلافاتهم، وأن يوجهون جهودهم فقط لخدمة الدولة، وذهب يوم 18 سبتمبر إلى هيئة الرقابة البحرية في منطقة "قاسم باشا"، وتناول الطعام مع الأميراليات والضباط من نفس أوانبهم، وفي 5 أكتوبر زار "المشيخة" وتناول الإفطار مع السادة العلماء، وفي 9 نوفمبر سأل "حيدر باشا" عن حالة الجنود المصابين في المستشفى العسكري، وصاحب الأمراء والمحافظين في نزعات بحرية في بحر مرمره واليوسفور والبحر الأسود وصلى مع العامة في المساجد⁽²⁾.

وبعد الانتهاء من مراسم السلطنة مضى السلطان عبد الحميد الثاني يواجه حروب خارجية متعاقبة، وأزمات سياسية عنيفة متتالية تصاعدت بها أوروبا والشعوب المسيحية التي بقيت خاضعة للدولة، وكانت هذه وتلك باستثناء ألمانيا ماضية في سياسة التآمر على الدولة إلى نهاية الشوط، فضلاً عن معارضة داخلية نشيطة ومنظمة في شكل جمعيات سرية وعلنية، وعسكرية ومدنية، اتخذت برامج سياسية ظهرها المطالبة بإعادة الدستور وباطنها الإطاحة بحكم السلطان عبد الحميد⁽³⁾.

وما يمكن أن نخلص إليه السلطان عبد الحميد الثاني بعد اعتلائه عرش الإمبراطورية استطاع بفضل دهائه وحنكته السياسية أن يساير الأحداث والأزمات الدولية الخانقة المحيطة بكيان الدولة العثمانية المريضة بالحكمة والليوننة، واتقاً في ذلك من قدراته وخبرته التي كسبها من تجارب السلاطين الذين سبقوه وذلك للنهوض بها من كبوتها من جديد.

(1) - محمد فريد بك المحامي: مصدر سيقدره، 587.

(2) - سيف الله الأربنجي: مرجع سبق ذكره، ص 19.

(3) - عبد العزيز محمد الشناوي: مرجع سبق ذكره، ص 22.

الفصل الأول: _____ لمحة عن شخصية عبد الحميد الثاني

الفصل الثاني:

السياسة الداخلية للسلطان عبد الحميد الثاني

المبحث الأول: الإعلان عن الدستور 1876م

المبحث الثاني: سياسة الإصلاحات

المبحث الثالث: سياسة السلطان اتجاه الحركات الانفصالية

المبحث الرابع: السلطان عبد الحميد والمسألة الأرمنية

الفصل الثاني: السياسة الداخلية للسلطان عبد الحميد الثاني

تمهيد

أمام الظروف السيئة التي كانت تواجهها الدولة العثمانية على المستوى الداخلي والخارجي استطاع السلطان عبد الحميد الثاني من اعتلاء العرش والتحكم في زمام الأمور، بعد اتفاق قام به مع رجال الأحرار، واثقاً في ذلك من سياسته ونكاته في التخطيط لإنقاذ الدولة من الانهيار والدفاع عنها في المستقبل، إبان الظروف الدولية السائدة في تلك الفترة والتي أثبتت رهان الدول الأجنبية على إمكانية سقوط الدولة واقتسامها فيما بينهم.

الفصل الثاني: السياسة الداخلية للسلطان عبد الحميد الثاني

المبحث الأول: الإعلان عن الدستور 1876م

حينما تولى السلطان عبد الحميد الثاني عرش السلطنة في عام 1876م، أظهر روحاً إصلاحية، فوعد بتأسيس مجلس عمومي وإعلان القانون الأساسي⁽¹⁾، وكان مدحت باشا الذي يسمى بأبي الأحرار يسعى دائماً إلى إعلان الدستور في الدولة، وانتهى هو وحزبه من إعداد القانون الأساسي وترتيب مجلس المبعوثان أثناء مدة حكم السلطان مراد الوجيزة⁽²⁾، أما الظروف والملابسات التي أحاطت بالسلطنة ودفع بالسلطان عبد الحميد الثاني على إصدار هذا الدستور، نذكر من بينها :

أولاً: الأزمة المالية المستحكمة، حيث الخزانة العامة خاوية، الأمر الذي دفع بالدولة إلى إعلان إفلاسها.

ثانياً: ضغط رجال الإصلاح العثمانيين وعلى رأسهم مدحت باشا.

ثالثاً: اشتعال الحركة الوطنية في الصرب وبلغاريا التي شهدت أفضع المذابح⁽³⁾، ثم إن هناك عاملاً آخرأ مهماً لا بد من الإشارة إليه، وهو ما كانت تمارسه الدول الأوروبية من ضغوطات على الدولة العثمانية كالتدخل في شؤونها بحجة دفعها نحو الإصلاح، والضغوط العسكرية المتمثلة في اقتطاع أطرافامن الدولة طرف بعد آخر مستغلة ضعفها وعدم قدرتها على المواجهة⁽⁴⁾.

وفي ظل هذه الظروف أعلن عن القانون الأساسي في 19 كانون الأول/ديسمبر 1876م، وقد جاءت مضامينه مستوحاة من دساتير بلجيكا وفرنسا وإنجلترا،

(1) - عمر عبد العزيز عمر: تاريخ المشرق العربي 1516-1966، دار النهضة العربية، بيروت، (د، ت)، ص 279.

(2) - سليمان بن صالح الخريش: كيف سقطت الدولة العثمانية، ط1، دار القاسم، الرياض، 1420هـ، ص 33.

(3) - السيد محمد الدؤل: دراسات في تاريخ الدولة العثمانية، جامعة الأزهر، عصر، (د، ت)، ص 111.

(4) - محمد بن عبد الله آل زلفه: مرجع سبق ذكره، ص 6.

الفصل الثاني: السياسة الداخلية للسلطان عبد الحميد الثاني

وصيغ في 119 مادة تضمنت حقوق السلطان في الحكم، فاعتبر القانون السلطان مقدساً و غير مسؤول، و منحه حق عزل الوكلاء وتنصيبهم وتوجيه المناصب والرتب وسك النقود باسمه، وذكر اسمه في خطبة الجمعة، وخوله عقد المعاهدات وإعلان الحرب وتحقيق العقوبات وعقد المجلس العمومي وفضته، كما تضمن حرية العثمانيين ومساواتهم⁽¹⁾، فاستقال رشدي باشا من الصدارة العظمى لنها صبره من مناورات مدحت باشا، فعين السلطان هذا الأخير محله⁽²⁾، وجاء في كتاب التعيين مايلي: "... ولما كنتم جامعين للصفات المطلوبة والمستقيمة وجهنا منصب الصدارة العظمى لعهد حمتكم"، وبعد ثلاثة أيام وجه عبد الحميد خطأ هاميونياً بشأن إعلان القانون الأساسي، مجد فيه التنظيمات الخيرية التي أعلنها والده السلطان عبد المجيد الأول ووصفه بمحي الدولة... وطلب من مدحت باشا إعلان القانون الأساسي⁽³⁾.

وفي الوقت الذي اجتمع فيه مندوبو الدول في المؤتمر الدولي في الأستانة لبحث الإصلاحات الواجب على الدولة تنفيذها، من تحسين أحوال مسيحي البلقان، ولدى افتتاح المؤتمر أطلقت المدافع معلنة صدور الدستور، وقيل مندوبي الدولة أن الدولة العثمانية تزعم إصلاح شؤونها بنفسها في ظل حكومة دستورية⁽⁴⁾، ومن ضمن ما فاه به مدحت باشا في ليلة العيد العظيم عيد الدستور العثماني: "لقد نلنا بنعمة الدستور حقوقاً جديدة وهو كسراج منير سيرشدنا ويهديننا إلى الكمال الحقيقي، هذا هو السراج الذي بنوره نقلت دول

(1) - رجييه كوثراي: "التنظيمات العثمانية والدستور: بواكير الفكر الدستوري نصاً وتطبيقاً ومفهوماً"، مجلة تبين، العدد 3، 2012، ص 4.

(2) - أحمد سعيد كوندوز، سعيد أوزتورك: مرجع سبق ذكره، ص 428.

(3) - عمر عبد العزيز عمر: مرجع سبق ذكره، ص 280.

(4) - أحمد عبد الرحيم مصطفى: في أصول التاريخ العثماني، ط 2، دار الشروق، القاهرة، بيروت، 1993، ص 233.

الفصل الثاني: السياسة الداخلية للسلطان عبد الحميد الثاني

أوروبا من ظلمة الجهل إلى عالم النور، تلك الدول التي بفضل مجالسها النيابية أصبحت الآن

مثلاً جميلاً وقدوة حسنة، تستفيد منها الأمم ويقتدي بها العالم ويعرف كل فرداً من أفراد الهيئة الاجتماعية ماله وما عليه من الحقوق والواجبات⁽¹⁾،

ونسرد بعضاً من مقتطفات نص القانون الأساسي الذي وضعه مدحت باشا وصادق عليه السلطان عبد الحميد عام 1876م: "وزير سمير المعالي مدحت باشا، إن اللدنيات العارضة منذ أزمان على قوة دولتنا العلية قد نشأت من الانحراف عن الطريق المستقيم، وما وفقنا به اليوم بوضع وإعلان هذا القانون والذي هو ثمرة آراء وأفكار المتداولة بالحرية المستندة على تلك الأمنية، ما هو إلا من جملة آثار تلك التنظيمات الخيرية... وأعني بها منع ومحو الخطايا وسوء الاستعمالات المتولدة من الحكم الاستبدادي الفردي أو الأفراد القلائل ليستفيد جميع الأقوام المركبة هيئتنا منهم من نعمة الحرية والعدالة والمساواة بلا استثناء، فاستناداً على عون الله وإمداد روحانية رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، قد قبلت هذا القانون الأساسي، وأرسلنا به لطرفكم بعد أن صادقنا عليه، فبادروا بالإعلان عليه في جميع أنحاء الممالك العثمانية وأطرافها..."⁽²⁾

يتألف المجلس العمومي وهو محور القانون الأساسي من هيئتين، الأولى هيئة الأعيان والأخرى هيئة المبعوثان، ويجتمع كلاهما في أول نوفمبر من كل عام، ويكون افتتاح وفض دورتيهما العاديتين تستغرقان أربعة أشهر بإرادة سنوية وللسلطان حق دعوة

(1) - عزرا سمويلسون: تاريخ مدحت باشا وجمعية الإتحاد والترقي العثمانية، مطبعة جرجي غرزوزي،

الإسكندرية، 1910، ص 69.

(2) - قيس جواد العزاوي: الدولة العثمانية قراءة جديدة لعوامل الانحطاط، ط 2، الدار العربية للعلوم، (د، م)، 2003، ص 196-197.

الفصل الثاني: السياسة الداخلية للسلطان عبد الحميد الثاني

المجلس العمومي وافتتاحه قبل الموعد، وله حق إطالة مدة انعقاده ويفتح السلطان أو الصدر الأعظم نائبا عنه المجلس العمومي، ويلقي فيه خطاباً يتضمن ما يلزم اتخاذه في المستقبل من الوسائل والتدابير في ما يتعلق بأحوال الدولة الداخلية والخارجية (1) ونصّ الدستور أيضاً على حرية أعضاء البرلمان في إبداء آرائهم وفي التصويت، وكان لا يمكن محاكمتهم إلا إذا تجاوز حدود قوانين المجلس، كما نصّ على إمكان الأشخاص الذين يرغبون في تقديم مقترحات تشريعية أن يقوموا بذلك من خلال الوزارة المختصة، وأن من الواجب إبرام القوانين التي يوافق عليها المجلس على يد مجلس الوزراء والصدر الأعظم قبل تقديمها للسلطان (2).

اجتمع أول برلمان عثماني في 29 مارس 1877م (1294هـ)، وكان مجلس الأعيان والشيوخ يتكون من 26 عضواً بالتعيين، من بينهم 21 مسلم في حين كان مجلس النواب يتكون من 120 عضواً وقد قام بعض النواب العرب بدور هام خلال المناقشات (3)، اجتمع مجلس المبعوثان (البرلمان) في كانون الثاني 1877م، للتداول في مقترح الحرب الروسية، وتم التصويت لصالح الحرب، (والعجب هو أن عدد غير المسلمين في هذا المجلس هو 60 عضواً من مجموع 240 عضواً)، وقد قاد هذا القرار الدولة العثمانية نحو الدمار وتركها وحدها في مواجهة روسيا (4).

وقد تعرض السلطان عبد الحميد الثاني في بداية حكمه إلى استبداد الوزراء واشتداد سياستهم التغريبية بقيادة جمعية العثمانيين الجدد... وقد بلغ من استبداد الوزراء بالحكم أن كتب مدحت باشا وهو في مقام الرئاسة لئخبة العثمانيين الجدد إلى السلطان عبد

(1) - عمر عبد العزيز عمر: مرجع سبق ذكره، ص 280-281.

(2) - أحمد عبد الرحيم مصطفى: مرجع سبق ذكره، ص 234-235.

(3) - إساعيل أحمد ياغي: الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مرجع سبق ذكره، ص 181.

(4) - أحمد آق كوندوز، سعيد أوزتورك: مرجع سبق ذكره، ص 428.

الفصل الثاني: السياسة الداخلية للسلطان عبد الحميد الثاني

الحميد⁽¹⁾ لم يكن غرضنا من إعلان القانون الأساسي إلا قطع دابر الاستبداد وتعيين ما لجلالتكم

من الحقوق وما عليها من الواجبات، وتعيين وظائف الوكلاء وتأمين جميع الناس على حريتهم وحقوقهم، حتى تنهض البلاد إلى معارج الارتقاء، وإني أطيع أوامركم إذا لم تكن مخالفة لمنافع الأمة⁽²⁾.

وعند إصدار المرسوم السلطاني الخاص بالقانون الأساسي أثناء صدارة مدحت باشا وكان من المعروف أن أحرار ذلك العهد من شعراء وأدباء اجتمعوا مساء يوم صدور مرسوم القانون الأساسي في قصر مدحت باشا، هذا الأخير الذي التقت عنده نشوة الخمر بالنشوة التي بعثها إعلان القانون الأساسي، وعندما نهض من على الأكل وخرج، وبينما كان يغسل يديه قال لزوج أخته طوسون باشا: يا باشا من يستطيع هذه المرة وبعد كل هذا أن يبعثني عن مكاني؟؟ من؟؟ وكم عاماً سأظل في الصدارة العظمى؟؟، رد عليه طوسون باشا قائلاً: "إذا بقيتم على هذه الحال فليس أكثر من أسبوع"⁽³⁾، وسرعان ما تحقق ذلك.

لم يكن السلطان عبد الحميد ذلك القائد السهل، فقد واجه كل هذه المشاكل بشجاعة فائقة، فقد كان يدرك بأن الدولة بحاجة إلى إصلاح، لكنه إصلاح على طريقته الخاصة، فقد رفض دعوة الإصلاحيين وألغى الدستور ووجه إليهم تهمة مقتل عمه السلطان عبد العزيز، وشكل محكمة لمحاكمتهم وصدرت أحكام بإعدام بعضهم وسجن بعضهم سجناً

(1) - علي محمد محمد الصلابي : الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، مرجع سبق ذكره، ص 402.

(2) - عزتو يوسف بك أصف: مصدر سبق ذكره، ص 138.

(3) - موفق بني مرجة: مرجع سبق ذكره، ص 58-59.

الفصل الثاني: السياسة الداخلية للسلطان عبد الحميد الثاني

مؤبداً، وعلى رأسهم المصلح الكبير مدحت باشا الذي نفي إلى الطائف في الحجاز، وظلّ في سجنه عدة سنين إلى أن مات فيه، وقيل أنه تمّ التخلص منه غدراً⁽¹⁾.

ويقول السلطان عبد الحميد الثاني: "أظن أن المشروعية لا تصلح لكل شعب ولكل بيئة، كنت أظن أنها مفيدة أما الآن فإنني مقتنع بضررها"⁽²⁾، وهكذا برز إلى الوجود ما يسمى بالحكم الشخصي لعبد الحميد الثاني أو دور الاستبداد كما ينعته المعارضون وكثير من مؤرخي العهد الجمهوري⁽³⁾، حيث يقول منذر معاليقي في كتابه معالم الفكر العربي في عصر النهضة العربية: "إن سرعان ما عطل السلطان عبد الحميد الثاني الدستور وأقام بدلاً عنه نظاماً بوليسياً عرف باسم "الظلم"، وباتت العيشة في ظله مريرة، حيث انتعشت الجاسوسية وكثرت الوشائيات والفسادات والإجراءات القمعية"⁽⁴⁾، كما تحدث سليمان البستاني في كتابه عن الوضع فقال: "وابتليت الأمة بطور استبدادي جديد لم تعهد نظيره حتى في عصر الظلمات"⁽⁵⁾، ثم نجده يعرف هذا النوع من الحكم فيقول "أما الحكم الاستبدادي فإذا أريد به الحكم المطلق حيث يقبض رجل واحد على أزمة الأمور، فهو الحكم الذي ألفه العالم منذ نشأته، وله بلا ريب مزايا باهرة مع جهل الرعية وذكاء الراعي وعدله"⁽⁶⁾.

(1) - محمد بن عبد الله آل زلفه: مرجع سبق ذكره، ص 7.

(2) - محمد حرب: مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني، مرجع سبق ذكره، ص 80.

(3) - أحمد أق كوندوز، سعيد أوزتورك، مرجع سبق ذكره، ص 429.

(4) - منذر معاليقي: معالم الفكر العربي في عصر النهضة العربية، نق: بسين الأيوبي، دار اقرأ، بيروت، لبنان، 1986، ص 40.

(5) - سليمان البستاني: الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده، مؤسسة هنداوي، مصر، 2014، ص 15.

(6) - نفسه، ص 18.

الفصل الثاني: السياسة الداخلية للسلطان عبد الحميد الثاني

المبحث الثاني: سياسة الإصلاحات

يطلق على القرن التاسع عشر للميلاد من تاريخ الدولة العثمانية عهد الإصلاح العثماني، حيث أن الدولة قد سارت في طريق إصلاح مؤسساتها العسكرية والمدنية على النمط الأوروبي الحديث، من أجل الحفاظ على تماسك الدولة وخوفاً من انهيارها، ومحاولة منها لإقناع الدول الأوروبية أنها تسير قدماً في طريق الإصلاح وتحسيناً لأحوال الرعايا النصاري حتى تكف هذه الدول عن التدخل في شؤونها بحجة حماية رعاياها (1)، وتواصلت تلك الإصلاحات في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، حيث عمل على توسيع انتشار التعليم المدني بشتى مراحل ونوعياته (2)، ويقول عبد الحميد الثاني في مذكراته: "لقد ارتفع عدد المدارس منذ أن اعتليت العرش إلى عشرة أضعاف ما كانت عليه، ومع ذلك فلا تكفي به الأوساط العلمية ونحن بحاجة إلى فتح مدارس إعدادية تهيب الطلاب للدخول إلى مؤسسات علمية، ليتخرج منها مهندسون ومعماريون وفنانون، وفي بلادنا عدد كافي من الموظفين والجنود إننا بحاجة إلى تطوير المعاهد العليا" (3).

وفعلاً أنشأ السلطان عبد الحميد العديد من الكليات والمدارس العليا والمعاهد الفنية لتخريج رصيد بشري مدني من ذوي الخبرة يساهمون في النهوض بالدولة، مع اهتمامه في الوقت ذاته بالتعليم العسكري والمعاهد العسكرية، واستقدام بعثات عسكرية من الدول الأوروبية خاصة ألمانيا لتطوير القوات المسلحة وتنظيم هذه القوات وتسليحها وتدريبها (4).

(1) -إسماعيل أحمد ياغي: الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مرجع سبق ذكره، ص 184.

(2) - عبد العزيز محمد الشناوي: مرجع سبق ذكره، ص 24.

(3) - السلطان عبد الحميد الثاني: مصدر سبق ذكره، ص 187-188.

(4) - عبد العزيز محمد الشناوي: مرجع سبق ذكره، ص 25.

الفصل الثاني: السياسة الداخلية للسلطان عبد الحميد الثاني

وكما استطاع السلطان أن يستحوذ على صفة آخر البنائين الكبار بالمفهوم المعماري في الإمبراطورية، وذلك من خلال الأعمال العمرانية الكثيفة والمنتشرة، حيث تبدو لنا في تنوع عظيم، تمتد من المدارس إلى محطات القطار ومن الموانئ المبنية على الطراز الأوروبي... إلى جامع يلدز الحميدي الذي يحمل نسمات من القصور الحمراء، أو معمل يلدز لصناعة الخزف، ليثبت أن هذه المهنة مازالت على قيد الحياة، وبيوت القرميد العامة⁽¹⁾، وتعدّ عملية إعادة اعمار الجامع الأموي بعد حريقه الأخير⁽²⁾ من الانجازات الحضارية الرائعة و المجهولة عند أهل دمشق في مختلف فنون العمران، وهي لوحة مشرفة لأهل الشام في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، تبين مدى التقدم الذي كانت تتمتع به دمشق في تلك الفترة يوم لم تكن تكن الكهرباء والرافعات وطواير المهندسين ومكاتب الإنشاءات الهندسة معروفة فيها⁽³⁾.

وفي مدينة جدة أيضا أقيمت منشآت عمرانية كثيرة أهمها بناء شبكات واسعة من المواسير لإيصال الماء من مكان بعيد عن جدة لسد حاجة المدينة لأهم مورد تنقثر إليه، وسمي المشروع بالحميدية نسبة إلى السلطان عبد الحميد الثاني، كما أقيمت أول محطة

(1) - مصطفى أرمغان: مرجع سبق ذكره، ص 89.

(2) - لقد تعرض هذا الجامع الكبير إلى الحريق خمس مرات في عهود مختلفة، وكان آخرها سنة 1890م، وهو الأسوأ على الإطلاق، ذلك أنه في ضحى يوم السبت رابع ربيع الثاني انطلقت النار من الجامع، ولم يكن في دمشق مصلحة لإطفاء، وبعد ساعتين ونصف الساعة كانت النار قد أنت على الجامع بأكمله، ينظر: ماري دكران سركو: دمشق فترة السلطان عبد الحميد الثاني 1293-1325/1876-1908م، ط1، وزارة الثقافة الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2008، ص 351.

(3) - ماري دكران سركو: مرجع سبق ذكره، ص 351.

الفصل الثاني: السياسة الداخلية للسلطان عبد الحميد الثاني

لتحنية المياه في جدة وسميت بالكنداسة، وتوصيل جدة بكيبيل بحري للاتصال مع البلدان المجاورة⁽¹⁾.

أما في مجال الطب فتذكر ماري ملز قائلة: "ولا ننكر على السلطان عنايته بالصحة العامة في العاصمة، فقد نظمت المحاجر الصحية في أيامه، واتخذت التدابير التي تحول دون انتشار الكوليرا وغيرها من الأوبئة، وافتتحت المدرسة الطبية في حيدر _____ انشاء،

وأخذ أطباء الحرم السلطاني وقابلاته يفتنون إلى المعهد الجديد للاستماع إلى المحاضرات"⁽²⁾.

وأما بالنسبة إلى جهاز المخابرات فكان هذا الجهاز من أهم إنجازات السلطان عبد الحميد، لأنّ هذا العصر قد امتلأ بأصحاب الأفكار الغربية والعلمانيين والمتأمرين للإطاحة بالخلافة والقوميين والانفصاليين والماسونيين، وكان طابور أعداء الخلافة طويلاً حتى صار من الوزراء أتباع لروسيا وانجلترا وفرنسا، يتلقون منهم الأوامر والرشاوي، وكان على عبد الحميد أن يتعامل مع كل هؤلاء، وهو على دراية كاملة بمخططاتهم وأهدافهم، ووسع عبد الحميد عمل هذا الجهاز حتى شمل جميع أنحاء الدولة العثمانية، ومن أجل ذلك لقبوه بالسلطان الأحمر⁽³⁾، ونجد روبين مانتران يصف الدولة في هذه الفترة: إنّ الدولة الحميدية تصبح دولة بوليسية ففي عام 1880م يتم إنشاء وزارة للشرطة وفق النموذج الفرنسي، يضع عبد الحميد على رأسها رجالاً من أهل الثقة، لكن الشيء الأكثر أهمية هو إنشاء شبكة تجسس ربما بإلهام من ألمانيا موازية للوزارة وتدار من القصر، وينهمك

(1) - محمد بن عبد الله آل زلفه: مرجع سبق ذكره، ص 12.

(2) - ماري ملز باتريك: مصدر سبق ذكره، ص 125.

(3) - محمد خير الفلاحه: مرجع سبق ذكره، ص 71.

الفصل الثاني: السياسة الداخلية للسلطان عبد الحميد الثاني

البوليس السياسي في جهد مكثف يهدف إلى الرقابة وجمع المعلومات لا يسلم منه أحد، بدءاً من الصدر الأعظم حتى أصغر موظف، مروراً بالسفراء العثمانيين في الخارج وأفراد جماعة تركيا الفتاة المعارضين⁽¹⁾.

وقد أسهمت تلك الرحلة التي قادته إلى أوروبا في زمن السلطان عبد العزيز أيما تأثير، حيث دفعه ذلك التأثير إلى إدخال المخترعات الحديثة في دولته في مختلف نواحي الحياة، تعليمية وصناعية وعسكرية ووسائل اتصالات، ومن أمثلة على ذلك شراؤه غواصتين وكان سلاح الغواصات جديداً، وأدخل التلغراف إلى بلاده من ماله الخاص، وأنشأ المدارس الحديثة وأدخل فيها العلوم العصرية، وأدخل إلى البلاد أول سيارة وأول دراجة، وأخذ بنظام القياس المترى⁽²⁾.

وقد جمع والتف من حوله الكثير من القادة وزعماء العرب المتتورين الذين استقطبهم السلطان عبد الحميد الثاني نذكر منهم: المصلح التونسي الكبير خير الدين التونسي، وعزت باشا العابد من سوريا، وكاظم باشا من العراق، وفضل بن علوي من جنوب اليمن، وأحمد ابن عبد الخالق الحفظي من عسير، وعبد الله ظافر من ليبيا، عبد الله بن ثنيان باشا آل سعود، وشريف باشا من كرد العراق، وأسعد باشا من أعيان المدينة المنورة... وأيضاً المصلح الكبير عبد الرحمان الكواكبي⁽³⁾.

أمّا في مجال الإصلاح القضائي فإنه قد اصطدم بتعنت الدول الأوروبية معه، فقد كان السلطان عبد الحميد الثاني شديد الرغبة في استمالة الدول لإلغاء الامتيازات الأجنبية، الذي كان لا يزال معمولاً به في الدولة، وتمتع في ظلّه الأجانب من رعايا تلك الدول

(1) - روبرت مانتران: تاريخ الدولة العثمانية، ج2، تر: بشير السباعي، ط1، دار الفكر، القاهرة، 1993، ص172.

(2) - علي محمد محمد الصلابي: الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، مرجع سبق ذكره، ص400.

(3) - محمد بن عبد الله آل زلفه: مرجع سبق ذكره، ص7.

الفصل الثاني: السياسة الداخلية للسلطان عبد الحميد الثاني

والمقيمون في الدولة بالإعفاء من الخضوع للتشريعات العثمانية والقضاء العثماني إلى غير ذلك من إعفاءات شتى⁽¹⁾، وكانت وسيلة السلطان عبد الحميد الثاني لتحقيق الإصلاح القضائي تتمثل في إصدار تشريعات قضائية جديدة، تجعله بعيداً عن كل نقد من جانب الدول الأوروبية، فأنشأ مدرسة الحقوق السلطانية في عام (1295هـ/1878م) لإعداد رجال القانون وقد ألحقت في عام (1318هـ/1900م) بجامعة اسطنبول، واستعانت الدولة بالمترجمين فعيّنتهم في المحاكم النظامية، كما أعاد تنظيم وزارة العدل فأصبحت تشرف على نظامين المدني والجنائي⁽²⁾ في المحاكم النظامية ومحاكم الملل والمحاكم المختلطة التجارية، واستثنت المحاكم التي تنظر في قضايا الأحوال الشخصية للمسلمين وهي المحاكم الشرعية فقد أقيمت عليها الولاية لشيخ الإسلام⁽³⁾، وقد وضع السلطان عبد الحميد الثاني برنامجاً للإصلاح القضائي يشمل:

- 1/ - تنظيم المحاكم المدنية وتحديد اختصاصاتها
- 2/ - إعداد قانون خاص بالإجراءات في المحاكم الابتدائية
- 3/ - إعداد قانون خاص بالإجراءات في محاكم الاستئناف
- 4/ - إعداد لائحة تنفيذ المحاكم القضائية وإعفاء رجال الجيش من مهمة تنفيذ هذه الأحكام
- 5/ - تعيين مفتشين قضائيين في كل ولاية
- 6/ - الفصل بين محاكم الاستئناف والمحاكم الابتدائية في الولايات⁽⁴⁾.

(1) - عبد العزيز محمد اشنأوى: مرجع سبق ذكره، ص30.

(2) - محمد سهيل طقوش: مرجع سبق ذكره، ص 522-523.

(3) - عبد العزيز محمد اشنأوى: المرجع السابق، ص33.

(4) - نفسه، ص34.

الفصل الثاني: السياسة الداخلية للسلطان عبد الحميد الثاني

وعلى الرغم من أن تنفيذ قوانين الإصلاحات القضائية قد كفل للجميع العدالة والمساواة، إلا أن الأجانب المقيمين على الأراضي العثمانية، والأقليات الموجودة في مختلف الولايات العثمانية، قد اعترضوا على تلك القوانين واللوائح بدافع التعصب الديني و الرغبة في عرقلة الإصلاح، فرفضوا أن يحاكموا أو يُنظر في قضاياهم أمام محاكم عثمانية... ونتيجة لذلك فإن الإصلاح القضائي في عهد السلطان عبد الحميد الثاني لم يشمل جميع المقيمين⁽¹⁾.

المبحث الثالث: سياسة السلطان اتجاه الحركات الانفصالية

عند اعتلاء السلطان عبد الحميد الثاني لعرش السلطنة، لم تكن المآسي على المستوى العائلي وحدها من المشاكل التي واجهته، بل كانت العقبات الكبرى التي لا تقل أهمية، هي تلك الظروف السياسية التي كانت تعصف بأحوال الدولة⁽²⁾، فقد كانت هناك بعض التمردات في الجانب الأوروبي من الدولة، وهي تمردات الجبل الأسود والصرب والبوسنة والهرسك⁽³⁾ وكلها تدخل في إطار ما يسمى بيوغوسلافيا الاتحادية⁽⁴⁾، ويرجع ذلك لعدة أسباب منها:

(1) - محمد سهيل طقوش: مرجع سبق ذكره ص 523.

(2) - محمد بن عبد الله آل زلفه: مرجع سبق ذكره، ص 5.

(3) - محمد حرب: السلطان عبد الحميد الثاني آخر السلاطين العثمانيين الكبار، مرجع سبق ذكره، ص 36-37.

(4) - تقع البوسنة والهرسك بين خطي العرض 42,16 و 45,15، والطول 15,14 و 19,41، وهي تقسم إلى وحدتين جغرافيتين وتاريخيتين هما: البوسنة والهرسك، يطلق اسم البوسنة على القسم الشمالي، بينما يشمل الهرسك مقاطعة الجنوب، والبوسنة نسبة إلى نهر البوسنة، أصبحت ولاية عثمانية 1580م/ 988هـ، أما اسم الهرسك فيعود إلى منتصف القرن الخامس عشر ميلادي عندما تمرد الثري النبيل ستيفان فوكشكوساجه على ملك البوسنة آنذا وأعلن نفسه 'هرسك' (أي: الدوق)، ثم ضمها سنة 1908م إلى الإمبراطورية النمساوية المجرية، ثم دخلت سنة 1918م ضمن الاتحاد اليوغسلافي، ينظر: س. مومستراس، المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية، تر: عصام محمد اشحدات، ط1، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 2002، ص 176.

الفصل الثاني: السياسة الداخلية للسلطان عبد الحميد الثاني

- 1/ نمو الحركة القومية في دول البلقان التي حصلت على استقلالها الذاتي وهي مولدافيا وولاشيا (اتحدت فيما بعد باسم رومانيا).
 - 2/ تشجيع روسيا والمجر لهذه الحركات.
 - 3/ ظهور الصرب كدولة قوية وعملياً لجمع العناصر الصربية في البلقان تحت لوائها.
 - 4/ قيام الثورات في البوسنة والهرسك عام 1885م بسبب الضرائب وسوء المحاصيل الزراعية (السبب المباشر للحرب)⁽¹⁾.
- وقد لعبت التأثيرات العالمية دوراً كبيراً في تفكيك الإمبراطورية العثمانية ، إذ تقرر عقد اجتماع دولي تشترك فيه كل من إنجلترا، فرنسا، ألمانيا والنمسا والمجر في اسطنبول يوم 23 ديسمبر 1876م، من أجل بحث الإصلاحات الواجب قيام الدولة العثمانية بها في أراضيها في البلقان خاصة، وسمي الاجتماع باسم "مؤتمر الترسانة"⁽²⁾، حيث وضع أعضاء المؤتمر في أول شرط من شروطهم مسألة استقلال بلغاريا الداخلي⁽³⁾، بالإضافة إلى أن تتنازل الدولة العلية لبلاد الصرب والجبل الأسود عن بعض الأراضي ليتسع نطاق إمارتهما، وتصير كلا من البوسنة والهرسك مستقلتين استقلالاً إدارياً، يعين لهما لمدة خمسة سنوات حاكم يتم تعيينه بموافقة الدول، وأن يكون البوليس في البوسنة والهرسك مسيحياً⁽⁴⁾، ويجب الشروع في تنفيذ تلك الشروط قبل مضي ثلاثة أشهر، ويعين لجان من طرف دول أوروبا للملاحظة على إجراء تلك الشروط، وإذا

(1) - شوقي عطا الله الجميل، عبد الله عبد الرازق إبراهيم: تاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة، المكتب المصري، القاهرة، 2000، ص 217.

(2) - محمد حرب: السلطان عبد الحميد الثاني آخر السلاطين العثمانيين الكبار، مرجع سبق ذكره، ص 37.

(3) - مدحت باشا: مذكرات مدحت باشا: تع: يوسف كمال بك حنا، ط 1، مطبعة هندية، مصر، (د، ت)، ص 24.

(4) - مصطفى الكامل: المسألة الشرقية، مؤسسة هنداوي، القاهرة، مصر، 2014، ص 102-103.

الفصل الثاني: السياسة الداخلية للسلطان عبد الحميد الثاني

رفضت الدولة العلية هذه الشروط فستعلن روسيا الحرب عليها⁽¹⁾، وبعد عدة جلسات دعت الدولة العثمانية لاجتماع هام حضره عدد من البارزين والوجهاء في البلاد، وعرضت عليهم مقترحات المؤتمر فرفضوها وأجمعوا على ضرورة الحرب⁽²⁾.

وردا على الموقف العثماني اجتمعت الدول الأوروبية مرة أخرى في لندن في 21 مارس 1877م، وقررت تخفيف مقررات المؤتمر (أي مؤتمر الترسانة) قليلاً، وإبلاغ الدولة العثمانية بذلك، إلا أن مدحت باشا رفض ذلك مرة أخرى ولكي يجبر السلطان على الحرب حرّض طلبة العلوم الشرعية على القيام بمظاهرات في الشوارع تنادي بضرورة دخول الدولة إلى الحرب ضد روسيا⁽³⁾.

وامام رفض الباب العالي لتلك المذكرة، وتصميمهم للدفاع عن شرف الدولة العثمانية، فلم يبق أمام الروس سوى إعلان الحرب، فوقّع الروس على معاهدة سرية مع إمارة رومانيا، حيث تفتح لها هذه الأخيرة خزائنها من مال وسلاح، كما أخطروا الباب العالي بالحرب وقطعوا العلاقات السياسية معها⁽⁴⁾، وفي اليوم التي أعلنت فيه روسيا الحرب على السلطنة ذكر الباب العالي الدول الأوروبية الموقعة على معاهدتي باريس 1856م بالتزاماتها في اندفاع عن استقلال السلطنة وسيادتها واعتبار ذلك مصلحة أوروبية عامة، إلا أن الأوضاع الدولية عشية الحرب ما كانت في مصلحة السلطنة، وتمنع بالتالي قيام أي تكتل أوروبي ضد روسيا، كما حدث أثناء حرب القرم⁽⁵⁾.

(1) - إبراهيم بك حنمي: تاريخ الدولة العثمانية المعروف بكتاب التحفة الطيمية في تاريخ الدولة العلية، ط 1، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، 1988، ص ص 255-256.

(2) - علي حسون: العثمانيون والروس، مرجع سبق ذكره، ص 131.

(3) - محمد حرب: السلطان عبد الحميد الثاني آخر السلاطين العثمانيين الكبار، المرجع السابق، ص 38.

(4) - علي حسون: العثمانيون والروس، المرجع السابق، ص 133.

(5) - عبد الرؤوف سنو: النزاعات الكبائية الإسلامية في الدولة العثمانية 1877-1881م (بلاد الشام، الحجاز، كردستان، ألبانيا)، ط 1، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1998، ص 24.

الفصل الثاني: السياسة الداخلية للسلطان عبد الحميد الثاني

وهكذا أمر القيصر الروسي اسكندر الثاني قواته بالتحرك، فعبرت الأراضي الرومانية في طريقها إلى بحر الدانوب لعبوره واكتساح الأراضي العثمانية... وساعدت الظروف القوات المتحالفة بانضمام الجبل الأسود إليها، ما دفع الدولة العثمانية إلى سحب جزء من قواتها لمواجهة سكان الجبل، وهذا أدى إلى إضعاف جبهة الدانوب، ثم دخلت الصرب الحرب في مراحلها الأخيرة (1)، وقد أحرزت الجيوش الروسية انتصارات سريعة وواصلت تقدمها إلى مدينة بلغنة ذات الموقع الاستراتيجي، وعند هذه المدينة نجح القائد العثماني عثمان باشا (2) في وقف التقدم الروسي قرابة خمسة أشهر، رغم الحصار الشديد الذي فرضه القائد الروسي تودلين على المدينة، وقد أشاد القيصر الروسي ببسالة القائد العثماني، وأبد له تقديره وإعجابه عندما قابله في المدينة بعد سقوطها (3).

أما في جهات آسيا فقد تقدم العثمانيون بادئ الأمر وتوغلوا داخل البلاد الروسية، فحاصروها في البداية مدينة بايزيد و عملوا على إسقاط أروهانوباطوم، ثم دخلوها لتثديده الحصار على قارص واحتلوا بايزيد... ثم جرت ستة وقائع شهيرة انتصر فيها العثمانيون على الروس... إلا أن الجنرال الروسي مليكوف قد اتخذ خطة الهجوم في أواخر شهر

(1) - محمد سهيل طقوش: مرجع سبق ذكره، ص 430.

(2) - عثمان نوري باشا: القائد العثماني الشهير، ولد في طوقات إحدى مدن سواس في شمالي آسيا الصغرى، فتم الامتلاء صغيراً وكان شقيقه حسين أفندي استاذ اللغة العربية في المدرسة الإعدادية هناك، فأدخله في تلك المدرسة فتنقى فيها مبادئ العلم، ثم انضم في سلك المدرسة الحربية فبقي بين رفاقه، وخرج منها سنة 1853م ضابطاً ملازماً في فرقة الفرسان (سوارى)، وفي سنة 1874م أحرز رتبة لواء، وفي سنة التالية صار فريقاً وتولى قيادة الفيلق الخامس وخرج لمحاربة الصرب ففاز في كل المواقع، وفي سنة 1877م انتشبت الحرب الشهيرة بين الدولة العلية والروس فتولى قيادة 68 طابوراً و 17 كوكبة 174 مدفعا، وحارب جند الروس في مواقع كثيرة، وفي هذه الحرب نال هذا القائد شهرته الكبرى، ينظر: جرجي زيدان، تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، ج 1، كلمات هنداوي، القاهرة، مصر، 2012، ص ص 207-208.

(3) - محمد سهيل طقوش: مرجع سبق ذكره، ص 430.

الفصل الثاني: السياسة الداخلية للسلطان عبد الحميد الثاني

أيلول عام 1295هـ، فلم يتمكن العثمانيون من مقاومة الجنود الروسية الجديدة فرجعوا إلى أرضروم حيث حوصروا هناك⁽¹⁾.

استغل الصرب الحرب الروسية العثمانية وخاصة وصول أخبار تؤكد سقوط قارص في نوفمبر وبلغراد في 10 ديسمبر في يد الروس، وثيقنوا بشكل رسمي بأن الفوز والنجاح سيكونان في جانب روسيا، سارعوا لإعلان الحرب على الدولة لعثمانية صاحبة السيادة عليهم... وبمساعدة الجيش الصربي اجتاح الجنرال جوركو جبال البلقان، ودخل مدينة صوفيا عاصمة البلقان في 4 يناير سنة 1878م، ثم احتل مدينة فلييه في مساء 15 من هذا الشهر، وأخيراً دخلت مقدمة فرقة الجنرال سكوبلف مدينة أدرنة في (20) منه، ومنها ساروا نحو الأستانة وتقدموا دون أن يجدوا معارضة تذكر إلى مسافة خمسين كيلو مترا

فقط من عاصمة الخلافة العظمى⁽²⁾، وقد احتل سكان الجبل الأسود مدينة "أنتيباري"، ووصلوا إلى ضواحي أشقودره، ودخل الصربيون "نيش"⁽³⁾

وبعد انهيار الجبهات العثمانية في أوروبا وآسيا مطلع عام 1878م أمرت السلطات البريطانية أسطولها بالتقدم نحو الممرات، فيما تقدمت القوات الروسية بعد هدنة 31 كانون

(1) - علي حسون: العثمانيون والروس، مرجع سبق ذكره، ص 136-137.

(2) - محمد فريد بك المحامي: مصدر سبق ذكره، ص 637-639.

(3) - علي حسون: المرجع السابق، ص 138.

الفصل الثاني: السياسة الداخلية للسلطان عبد الحميد الثاني

الثاني مع السلطنة إلى سان استيفانوس⁽¹⁾ من أجل الهدنة⁽²⁾، فبدأت الاتصالات بين حكام روسيا وحكام الدولة العثمانية لتوقيع ما يسمى بالصلح النهائي، وهو في الحقيقة لم يكن صلحاً إنما شروط مجحفة أملتها الحكومة الروسية على الدولة العثمانية، وطلبت توقيعها قبل يوم 3 مارس سنة 1878م وإلا تبطل الهدنة وتتقدم العساكر الروسية إلى إسلامبول (الأسطانة)⁽³⁾.

أرغمت الدولة العثمانية على توقيع معاهدة صلح في سان إستيفانوس 03 آذار، وبموجبها تنازل الباب العالي عن قلعة قارص في أرمنية، وعن ثغر باطوم الهام⁽⁴⁾، وحصلت رومانيا وصربيا والجبل الأسود على استقلالهم التام والكامل، واحتلت النمسا البوسنة والهرسك، وأصبحت بلغاريا إمارة تتمتع بالحكم الذاتي⁽⁵⁾، وهكذا لم يبقى لتركيا في البلقان بموجب هذه الاتفاقية سوى نفوذ بسيط في بعض الجيوب المتباعدة⁽⁶⁾، إلا أن هذه المعاهدة قد قوبلت بعاصفة من الاحتجاج من جانب دول البلقان وبريطانيا والنمسا، فقد شعرت دول البلقان أن التوازن في شبه الجزيرة قد اختل لصالح بلغاريا الواقعة تحت النفوذ الروسي⁽⁷⁾، ولهذا طلبت إنجلترا والنمسا عقد مؤتمر دولي

(1) - سان استيفانوس: أو اياستفانوس، ومعناها القديس اسطفان، هي قرية أو ضاحية من اسطنبول على الضفة

الأوروبية وتقع على بحر مرمرة، بنظر: محمد فريد بك المحامي، مصدر سبق ذكره، ص 642.

(2) - عبد الرؤوف سنو: النزاعات الكيانية الإسلامية في الدولة العثمانية 1877-1881م، مرجع سبق ذكره، ص 24.

(3) - علي أحمد زين وأخرون: أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ الثروة العثمانية 699-1343هـ/1299-1924م،

ج2، دار الوفاء، المنصورة، مصر، 1995، ص 24.

(4) - كارل بروكلمان: مصدر سبق ذكره، ص 588.

(5) - روبرت منتران: مرجع سبق ذكره، ص 161.

(6) - شوقي عطا الله الجميل، عبد الله عبد الرازق إبراهيم تاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة مرجع سبق

ذكره، ص 221.

(7) - محمد سهيل طقوش: مرجع سبق ذكره، ص 437.

الفصل الثاني: السياسة الداخلية للسلطان عبد الحميد الثاني

لبحث مشكلات البلقان، وعقد المؤتمر فعلاً في برلين في الفترة من 15 يونيو إلى 15 يوليو 1878م وكانت أهم قراراته:

- 1/ تأخذ روسيا قارص وباطوم من تركيا.
- 2/ تتولى النمسا إدارة البوسنة والهرسك.
- 3/ تستقل رومانيا والصرب والجبل الأسود.
- 4/ تحترم شروط معاهدة باريس بشأن المضائق وحرية الملاحة في بحر الطونة والبحر الأسود⁽¹⁾.

والعجيب في الأمر أن المؤامرة لم تتوقف بعد ذلك على كافة الجبهات العسكرية والسياسية، والدليل أن إنجلترا استطاعت أن تمنع الحكومة العثمانية بتوقيع معاهدة دفاعية معها ضد روسيا لو تقدمت نحو بلاد الأناضول... مقابل أن تسمح الدولة العلية لانجلترا باحتلال قبرص وإدارة شؤونها لتكون على مقربة من حدود روسيا ويتسنى لها صد هجماتها، وفي 4 يونيو 1878م أضيفت إلى مقررات برلين إضافات تجعل احتلال بريطانيا لقبرص احتلالاً أبدياً⁽²⁾، هذا بالإضافة إلى أن أطماع روسيا وأطماع النمسا في البلقان لم تنته بصلح برلين 1878م بل ظل الوضع في المنطقة حرجاً حتى قيام الحرب العظمى الأولى⁽³⁾.

(1) -شوقي عطا الله الجميل، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: تاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة، مرجع سبق ذكره، ص 221.

(2) - علي أحمد نين وآخرون: مرجع سبق ذكره، ص 25-26.

(3) -شوقي عطا الله الجميل، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: المرجع السابق، ص 221.

الفصل الثاني: السياسة الداخلية للسلطان عبد الحميد الثاني

هذا، بالإضافة إلى الحرب العثمانية_اليونانية حول جزيرة كريت، إذ كانت هذه الجزيرة وهي جزء من الدولة العثمانية_تغلي بالأحداث وكان التمرد فيها قائم على أساس ديني قومي أشعل حماسه وساعد فيه الروس، وأثناء الحرب العثمانية_الروسية عاود الكريتيون الأروام تمردهم ضد الدولة العثمانية وطلبوا إلحاق الجزيرة باليونان كجزء من إعادة الدولة البيزنطية⁽¹⁾، ومن هنا بدأ التدخل اليوناني العسكري في جزيرة كريت حيث بدأت اليونان هجومها على حدود الدولة العثمانية بوحدة فدائية صغيرة أول الأمر ثم بوحدة أكبر، وفي يوم الجمعة 7 من ذي القعدة/ 9 نيسان بدأ الجيش اليوناني بتدمير المخافر العثمانية، وكرر الهجوم واستولى على جميع المخافر العثمانية الحدودية⁽²⁾، وبعد أن اتضح أنه لا يمكن قمع الثورة في جزيرة كريت بعد إعلان اليونان ضمها الجزيرة، أعلن السلطان عبد الحميد الثاني الحرب على اليونان وكان ذلك في 18 أبريل/نيسان عام 1897م⁽³⁾، حيث تولى السلطان إدارة الحرب بنفسه وخطط لتنفيذ ضربة

سريعة وخاطفة تضع الدول الكبرى⁽⁴⁾ التي لم تدعه بفرد بحل هذه القضية_ أمام الأمر الواقع.

استمرت الحرب ثلاثين يوماً حلت في نهايتها الهزيمة بالقوات اليونانية، وأخذ الجيش العثماني طريقه إلى أثينا بعد انتصاره في موقعة "توميقا" في 25 ذي الحجة

(1) - محمد حرب: السلطان عبد الحميد الثاني آخر السلاطين العثمانيين الكبار، مرجع سبق ذكره، ص 41-42.

(2) - أورخان محمد عني: مصدر سبق ذكره، 168.

(3) - صالح كون: مرجع سبق ذكره، ص 321.

(4) - الجدير بالذكر أن الدول الأوروبية الكبرى كانت على يقين من أن الجيش العثماني يستطيع إنزال هزائم ساحقة بالجيش اليوناني، بعد الإصلاحات التي أدخلت عليه بفضل جهود البعثات الألمانية، ينظر: محمد سويل طقوش، مرجع سبق ذكره، ص 455.

الفصل الثاني: السياسة الداخلية للسلطان عبد الحميد الثاني

1315هـ/17 أيار 1898م⁽¹⁾، وعندما بدأت بوادر الهزيمة العسكرية في اليونان سقطت الوزارة وتشكلت وزارة أخرى قامت بالاستجداء بالدول الأوروبية، معلنة أنها وضعت مصير اليونان بين أيدي هذه الدول، كما طلبوا من قيصر روسيا للتوسط لدى الدولة العثمانية لإيقاف القتال⁽²⁾، فأرسل القيصر نيقولا الثالث برقية إلى السلطان يهنئه بالانتصار ويطلب منه ألا تتقدم القوات العثمانية في اليونان إلى أبعد من ذلك وأيته الدول الأوروبية، فاضطر السلطان تحت هذا الضغط الأوروبي إلى الاستجابة بشرط الحصول على تساليات، وعلى تعويضات الحرب، لكن قبول هذا الشرط بالرفض وحرمة الدولة العثمانية من الحصول على هذا الإقليم، كما تكلفت الدول الأوروبية ضد دفع التعويضات⁽³⁾.

وهكذا لم تسفر هذه الحرب التي أشعلتها اليونان عن توسعات على الأرض لئلا الطرفين، لكن كان للانتصار العثماني تأثيره المعنوي الكبير على العالم الإسلامي⁽⁴⁾.

المبحث الرابع: السلطان عبد الحميد والمسألة الأرمنية

سكن الأرمن⁽⁵⁾ منطقة إستراتيجية في شبه جزيرة الأناضول، وكانت تلك المنطقة محور اهتمام الدول القوية المجاورة، ومنطقة نزاع عبر التاريخ بين

(1) - محمد سهيل طقوش: نفسه، ص 455-456.

(2) - أورخان محمد عني: المصنر السابق، ص 169.

(3) - محمد سهيل طقوش: المرجع السابق، ص 456.

(4) - محمد سهيل طقوش: مرجع سبق ذكره، ص 456.

(5) - الأرمن : كما هو معروف موطنهم الأصلي ترافيا، وهاجروا منها إلى أرمينيا واعتنقوا المسيحية على يد القديس غريغوريوس، كان آخر ملوكهم ليفون الخامس دي لوزينيان الذي وقع أسيراً ودفن في باريس سنة 1393م، عام

الفصل الثاني: السياسة الداخلية للسلطان عبد الحميد الثاني

الإمبراطوريات، وقد شكلوا في تاريخهم بعض الإمارات والدول، وكانت في الغالب خاضعة لسلطة وسيطرة الدول المجاورة، وبعد مجيء الإسلام وتوسع دولته وتغلب المسلمين على الفرس والبيزنطيين، أصبحوا تارة تحت حكم العرب المسلمين، وتحت حكم البيزنطيين النصارى تارة أخرى⁽¹⁾، وقد تمتع الأرمن بالعديد من الامتيازات والحقوق خلال الحكم العثماني لمناطقهم... إذ وضع لهم دستوراً خاصاً بهم عام 1860م، مستوحى من الدستور الفرنسي لعام 1848م، وصادقت عليه الحكومة العثمانية في 17 تشرين الأول 1862م، وبموجبه وزعت السلطات بين المجلس النيابي والمجلس التنفيذي الذين يتألفان البطريرك نفسه في الأستانة⁽²⁾، وهكذا لم تكن هناك أي مشكلة بين الأرمن والدولة العثمانية في أطوارها الأولى، ولكن ما إن ضعفت الدولة العثمانية في الربع الأخير من القرن التاسع عشر حتى

بدأت الدول بإثارتهم واستغلالهم دينياً وسياسياً واقتصادياً من أجل مصالحهم، وأصبحت محاولات الإثارة تلك جزءاً من سياسة تلك الدول الأجنبية اتجاه الدولة العثمانية⁽³⁾.

1678م قامت لجنة برئاسة الكاتوليكسأغوب الثاني بشرح القضية حتى عام 1838م، حين أعلن سكييفيتش رئيس وزراء روسيا شعاراً أرمينيا بدون أرمن، ينظر: موفق بني مرجة، مرجع سبق ذكره، ص 94.

(1) - محمد جمال الدين العلوي، بان غام الصايغ: "المسألة الأرمنية وموقف الغرب منها خلال حكم السلطان عبد الحميد الثاني (1876-1909م)"، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد (12)، العدد (1)، 2012، ص 448.

(2) - مشعل مفرح ظاهر: الأرمن في عهد السلطان عبد الحميد الثاني (1876-1908م)، جامعة البصرة، كلية الآداب، قسم التاريخ، ص 2.

(3) - يوسف حلاج لوعلي: نهجير الأرمن 1914-1918م (الوثائق والحقيقة)، تر: أورخان محمد علي، ط 1، منتدى سور الأربكية، بيروت، لبنان، 2010، ص 31.

الفصل الثاني: السياسة الداخلية للسلطان عبد الحميد الثاني

وأسهم المفكرون من الشباب الأرمني العائدين من دراساتهم من أوروبا دور كبير في إثارة المسألة، إذ عادوا متأثرين بروح الثورة الفرنسية ومتعاطفين للحرية، فعملوا على إذكاء الشعور القومي في صفوف الشعب في الولايات النائية والبعيدة التي كانت تعاني من البؤس والفقر⁽¹⁾، وعندما حاولت الدولة العثمانية إغلاق بعض المدارس الأرمنية التي تدعو إلى الثورة، ثار الأرمن وجاءوا إلى العاصمة وطلبوا من بطريركهم أن يراجع السلطان، فلما رأوا منه فتوراً حاولوا قتله، وفي أثناء ذلك نجمت بوادر الثورة في جبل يقال له "جبل صاصون"⁽²⁾ من سنجق موش، في ولاية تفليس⁽³⁾، بالإضافة إلى أن الأرمن امتنعوا عن دفع الضرائب في ولاية تفليس، وعندما قامت الدولة العثمانية بتأديبهم قامت قيامة الصحافة الأوروبية⁽⁴⁾، ومنذ ذلك الحين بدأ التدخل الدولي في هذا الشأن من خلال الصحافة وإثارة الرأي العام ضد الدولة العثمانية⁽⁵⁾.

وفي تطلعات الأرمن نحو الاستقلال⁽⁶⁾ عن الدولة العثمانية، وبتأثير الدعاية الروسية الواسعة التي قام بها عملاء روسيا في أرمينيا العثمانية بمساعدتهم في الحصول

(1) - تقيّة حنا منصور: الأرمن والدولة العثمانية، ط1، دار النهضة، بيروت، لبنان، 2016، ص83.

(2) - صاصون: حالياً مدينة تركية في شمال شرق البلاد على البحر الأسود، وكانت بالأصل قرية أرمينية، ينظر: محمد فريد بك المحامي، مصدر سبق ذكره، ص140.

(3) - مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني: مصدر سبق ذكره، ص45.

(4) - موفق بني مرجة: مرجع سبق ذكره، ص94.

(5) - محمد جمال الدين العلوي، بان غانم الصايغ: مرجع سبق ذكره، ص461.

(6) - يقول السلطان عبد الحميد الثاني في مذكراته: "إن أمل الأرمن في إنشاء دولة مستقلة لا يعدوا كونه حلاً من أحلام اليقظة، إنهم منقسمون إلى أرثوذكس وبروتستانت وكاثوليك، والصراخ بين هذه المذاهب لم يهدأ يوماً، فكيف يمكنهم أن يؤسسوا دولة مستقلة؟ ثم إن مليوناً من الأرمن تابعون لروسيا ومليونين لإيران ومليون ونصف المليون للدولة العثمانية، وأخيراً فإن التاريخ يشهد أن صفات الأرمن لا تخولهم تأسيس دولة بمفردهم وإبقائها على وجه الأرض"، ينظر مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني، ص45.

الفصل الثاني: السياسة الداخلية للسلطان عبد الحميد الثاني

على الاستقلال، وإنشاء دولة مستقلة لهم في شرقي الأناضول، انضم الأرمن إلى القوات الروسية في الحرب التي اشتعلت بين الدولة العثمانية وروسيا في سنتي (1877-1878م)⁽¹⁾، إذ جندت روسيا العديد منهم داخل الأراضي العثمانية وتسليحهم لإرهاب وقتل سكان المناطق الحدودية لاسيما الإسلامية منها، وبالفعل حققت مشاركة الأرمن في الحرب لصالح روسيا نجاحاً كان له الأثر في انتصار الجيوش الروسية خلال تلك الحرب⁽²⁾.

وهذه الهزيمة دفعت بالسلطان عبد الحميد الثاني إلى عقد شروط الصلح الابتدائية بالمعاهدة المعروفة بسان استفانوس، ثم في 13 يوليو 1878م استبدلت هذه المعاهدة بمعاهدة برلين جوان 1878م حيث أوجبت المادة 61 من هذه المعاهدة على الباب العالي السرعة في إجراء التحسينات والإصلاحات التي تقتضيها حالة البلاد في الولايات التي يسكنها الأرمن لحمايتهم من الجراكسة والأتراك⁽³⁾ إلا أن السلطان عبد الحميد أخذ يماطل في تنفيذ الإصلاحات التي وعد بها الأرمن⁽⁴⁾، ولم يعفوا عنهم لتعاونهم مع أعداء الدولة، وقررت الحكومة العثمانية التخلص منهم، فوجدت في الأكراد والشراكسة اليد الضاربة لتأديب الأرمن المتمردين، فشكل منهم عام 1891م الفرسان الحميدية⁽⁵⁾، حيث قام الجيش غير النظامي والقبائل الكردية الجراكسة بقتل الأبرياء وسلب ونهب الأموال، فانتشر الخوف والرعب في القرى الأرمينية وخصوصاً البعيدة عن مركز السلطة، وبدأت الكثير من العائلات بترك أملاكها ومزارعها والهجرة

(1) - عبد العزيز محمد الشناوي: مرجع سبق ذكره، ص 325.

(2) - مشعل مفرح ظاهر: مرجع سبق ذكره، ص 2-3.

(3) - عزتو يوسيف بك أصفاف: مصدر سبق ذكره، ص 342.

(4) - يوسف إبراهيم الجهمالي: تركيا والأرمن، ط 1، دار حوران، دمشق، 2001، ص 26.

(5) - مشعل مفرح ظاهر: المرجع السابق، ص 3.

الفصل الثاني: السياسة الداخلية للسلطان عبد الحميد الثاني

باتجاه منطقة القوقاز، وأصبحت هذه الأعمال أحد أسباب قيام المذابح والتهجير للأرمن في عهد السلطان عبد الحميد الثاني⁽¹⁾.

أما بالنسبة للتدخل الأجنبي⁽²⁾ في هذه الفترة، فإن بريطانيا قد عقدت معاهدة سرية مع السلطان عبد الحميد الثاني بعد مؤتمر برلين 1878م، من أجل الوقوف في وجه الأطماع الروسية والمطالب الأرمنية في بلاده، مقابل تخليه عن جزيرة قبرص لبريطانيا، وفي نفس الوقت أطلقت الوعود والشعارات عن ضمان حقوق الشعوب وفي مقدمتها الشعب الأرمني في السلطنة، واعتبرت نفسها حامية لهذا الشعب، وعلى الجانب الآخر كانت نقض الطرف عن الانتهاكات والمجازر التي يتعرض لها الأرمن⁽³⁾.

وهكذا بدأت المواجهات تشتد بين الطرفين وتصبح دموية في كثير من مناطق الشرق⁽⁴⁾، وبقي الأرمن يتألمون من صنوف الظلم التي يتعرض لها⁽⁵⁾، الأمر الذي دفعهم دفعهم

لتشكيل الجمعيات والأحزاب السياسية، وكان من أبرزها حزب "الهنشاك" الذي تأسس في جنيف عام 1887م، واتخذ من النشاط السلمي منهاجاً لحل القضية الأرمنية، في حين اتخذ حزب "الطاشناق" أي الاتحاد الثوري الأرمني والذي تأسس في تفليس عام 1890م

(1) - تقيّة حنا منصور: مرجع سبق ذكره، ص 88.

(2) - حتى روسيا القيصرية رفضت يديها من المسألة الأرمنية، إذ تغير موقفها بعد تولي الحكم ألكسندر الثالث عام 1881م، إذ أخذت بالابتعاد عن الأرمن وعدم التعاطف معهم سواء داخل البلاد أو خارجها، لاسيما أنه أدرك أن جهود إضعاف السلطان العثماني قد تزامنت مع الأفكار الزائديكية التي بدأت تظهر في روسيا القيصرية، والتي من الممكن أن تحفز رعاياه على التمرد، ومطالبة أرمن روسيا بالاستقلال أو الحكم الذاتي، وهذا ما لا يحبذ الروس، لهذا منح السلطان حرية التعامل معهم، ينظر: محمد جمال الدين العلوي، بان غانم صايغ، مرجع سبق ذكره، ص 470.

(3) - فارس عثمان: الكرد والأرمن العلاقات التاريخية، ط2، منتدى اقرأ الثقافي، كردستان، العراق، 2008، ص 117.

(4) - مشعل مفرح ظاهر: مرجع سبق ذكره، ص 3.

(5) - عزتو بوبسف بك أصفاف: مصدر سبق ذكره، ص 142.

الفصل الثاني: السياسة الداخلية للسلطان عبد الحميد الثاني

الوسائل الثورية من أجل الحصول على استقلال أرمينيا⁽¹⁾، وفي عام 1893م طغى الأرمن كثيراً فتمردوا وكتبوا شعارات على الجدران فيها إساءة إلى المسلمين في وسط وغرب الأناضول، كما قام الأرمن في هاتين المنطقتين بتحريض المسلمين الأتراك على الثورة ضد السلطان عبد الحميد، ولما رفض المسلمون ذلك قام الأرمن بمذابح ضدهم⁽²⁾.

وفي هذه الظروف الصعبة لم تجد الحكومة العثمانية أسلوباً ناجحاً إلا بتشديد الإجراءات اتجاه تمردات المناطق الأرمينية، وكانت عنيفة في بعض المناطق كتفليس وطرابزون⁽³⁾، فاحتجت أوروبا على حق الدولة العثمانية في هذا الصدد، وقام جلادستون رئيس الوزراء الإنجليزي يلقي خطبة في "ليفربول" حيث قال: "إن الدولة العثمانية يجب أن تمحى من الوجود"، ووصف في خطبته هذه السلطان عبد الحميد الثاني بأنه القاتل الكبير، ولقب بـ"السلطان الأحمر"⁽⁴⁾.

إن هذه التصريحات والمواقف لم تهدأ الأوضاع بل ازدادت الحال سوءاً ففي سنة 1894م حدثت مذابح صاصون⁽⁵⁾، وذلك عندما أخذ الجنود والجندرمة الأتراك وبعض الأشقياء يفتكون بالناس القاطنين في تلك الديار، كباراً وصغاراً، رجالاً ونساءً، ودمروا في

فترة وجيزة 40 قرية وقتلوا فيها حوالي 10 آلاف شخص⁽⁶⁾، بالإضافة إلى مذبحة أورفة في 28 كانون الأول 1895م، حيث جمع الملا سعيد أحمد وهو إحدى المشايخ المتطرفين

(1) - مشعل مفرح ظاهر: المرجع السابق.

(2) - محمد حرب: السلطان عبد الحميد الثاني آخر السلاطين العثمانيين الكبار، مرجع سبق ذكره، ص 107-108.

(3) - مشعل مفرح ظاهر: مرجع سبق ذكره، ص 3.

(4) - محمد حرب: المرجع السابق، ص 108.

(5) - عزتو يوسف بك أصناف: مصدر سبق ذكره، ص 143.

(6) - يوسف إبراهيم الجهماني: مرجع سبق ذكره، ص 26.

الفصل الثاني: السياسة الداخلية للسلطان عبد الحميد الثاني

ومن وجهاء مدينة أورفة المسلمين، وحرصهم على إيادة الأرمن بحجة تمردهم على السلطنة، ولكي يحفز الحضور على القتل أمر بإحضار شاب أرمني وقتله بيده أمامهم، فكان عمله إيذاناً ببدء مجزرة اقترفتھا الفرسان الحميدية التي دخلت يوم 29 من الشهر نفسه الكنيسة الأرمنية وقتلت من فيها⁽¹⁾، وفي سعي الأرمن إلى جذب انتباه الغرب لحملهم على التدخل، عبر مخطط أرادوا تنفيذه، ففي 1896م فكر الثوريون الأرمن بضرب المصالح الاقتصادية والمالية للدولة العثمانية، فهاجموا الأرمن البنك العثماني⁽²⁾.

وعلى إثر تلك الأزمة الطارئة عقد السفراء الغربيون اجتماعاً مغلقاً لإيجاد الحلول الكفيلة لإنهائها، وانتهت الأزمة بإطلاق سراح الرهائن بعد 13 ساعة⁽³⁾، مقابل إعطائهم الوعود بإجراء الإصلاحات في الولايات الأرمنية ومغادرة الثوريون للبنك دون المساس بأي مبلغ من أمواله، ونقل هؤلاء الشباب إلى أوروبا عن طريق الباخرة يرافقهم السكرتير الأول للسفارة الروسية⁽⁴⁾، وفي محاولة لاغتيال السلطان عبد الحميد الثاني مطلع عام 1905م، حيث حدد موعد تنفيذ العملية بعد أداء صلاة الجمعة، وذلك من خلال تفجير عربة مفخخة تكون موضوعة قريبة من مركبه، وعلى الرغم من إحكام الخطة إلا أنها فشلت بسبب تأخر السلطان بالخروج من الجامع⁽⁵⁾، وفي السنوات التي لحقت كوارث (1894-1896م) وقعت خيبة أمل ثقيلة على الأرمن، ووجدوا بعض العزاء بقيام عناصر أخرى كانت تنتظم ضد حكم السلطان عبد الحميد، فكان المصلحون والثوريون من جميع قوميات الإمبراطورية العثمانية المتواجدين في جنيف وباريس والأماكن

(1) - مشعل مفرح ظاهر: مرجع سبق ذكره، ص4.

(2) - محمد جمال الدين العلوي، بن غانم صايغ، مرجع سبق ذكره، ص470.

(3) - مشعل مفرح ظاهر: مرجع سبق ذكره، ص4.

(4) - تقية حنا منصور: مرجع سبق ذكره، ص121.

(5) - مشعل مفرح ظاهر: المرجع السابق، ص5.

الفصل الثاني: السياسة الداخلية للسلطان عبد الحميد الثاني

الأخرى يتصورون برامج للإصلاح ويتخيلون حكومة تقدمية تحكم وطنهم⁽¹⁾، فاتحدت الجمعيات الأرمنية مع جمعية الرجال الأحرار فنهضوا واشتدّت نغمتهم على السلطان، وبنوا روحهم بين تلامذة المدارس العليا في الأستانة، وألّفوا جمعية سموها جمعية الاتحاد والترقي التي نجحت في الأخير في خلع السلطان عبد الحميد الثاني عام 1909م⁽²⁾، إلا أن المسألة الأرمنية بقيت متواصلة بعد الحكم الحميدي.

استنتاج:

عند اعتلاء السلطان عبد الحميد الثاني لعرش الإمبراطورية العثمانية واجه العديد من المشاكل الداخلية التي أجبرته على اتخاذ سياسة تمكنه من الخروج من الوضع المزري التي آلت إليه هذه الإمبراطورية، ومحاولة النهوض بمؤسساتها، وأمام إصرار رجال الأحرار وعلى رأسهم مدحت باشا أعلن السلطان عبد الحميد عن القانون الأساسي للدولة العلية، إلا أنه قام بإلغائه بعد فترة وجيزة من تاريخ إعلانه، ثم شرع في إصلاح إطارات الدولة.

أرادت دول البلقان استغلال الظروف الصعبة التي كانت تمر بها الدولة العثمانية وأعلنت عن رغبتها في الاستقلال، وكان ذلك نتيجة تحريض من روسيا، الوضع الذي أدى إلى نشوب حرب عثمانية-روسية انتهت بانفصال بعض ولاياتها عن الدولة، هذا بالإضافة إلى بروز المسألة الأرمنية إلى ساحة السياسة ومطالبتها هي الأخرى بإجراء إصلاحات خاصة بهم مستغلة في ذلك وقوف الدول الأوروبية إلى جانبها.

(1) - يوسف إبراهيم الجهمالي: مرجع سبق ذكره، ص 28.

(2) - عزتو يوسف بك أصف: مصدر سبق ذكره، ص 142-143.

الفصل الثالث:

السياسة الخارجية للسلطان عبدالحميد الثاني

المبحث الأول: سياسة السلطان عبد الحميد الثاني من الحركات الاستعمارية

المبحث الثاني: السلطان عبد الحميد الثاني وحركة الجامعة الإسلامية

المبحث الثالث: موقف السلطان عبد الحميد من الحركة الصهيونية

المبحث الرابع: الانقلاب العثماني الكبير وخلع السلطان عبد الحميد الثاني من العرش

الفصل الثالث _____ السياسة الخارجية للسلطان عبد الحميد الثاني

تمهيد:

بنى السلطان عبد الحميد الثاني سياسته الخارجية في وقت كانت فيه بريطانيا تمثل القوى العظمى في العالم ، بالإضافة إلى فرنسا وروسيا وألمانيا وإيطاليا كانوا دولاً أوروبية صاعدة في الموقف الدولي، لهذا أراد انتهاج سياسة توقع هذه الدول في صراعات متداخلة فيما بينها، ومحاولة كسب دولة تقف إلى جانبه في مواجهة خطط الغرب، و هذه الأخيرة التي تحالفت فيما بعد مع الحركة الصهيونية العالمية التي أرادت هي الأخرى نصيباً من تركة الدولة العثمانية لبناء وطن قومي لهم.

هذا فضلاً عن الجهود العظيمة التي قام بها السلطان عبد الحميد الثاني خدمة للإسلام ودفاعاً عن دولته وتوحيداً لجهود الأمة الإسلامية تحت رايته من خلال إنجاز فكرة الجامعة الإسلامية.

الفصل الثالث _____ السياسة الخارجية للسلطان عبد الحميد الثاني

المبحث الأول: سياسة السلطان عبد الحميد الثاني اتجاه الحركات الاستعمارية

خضع الوطن العربي للحكم العثماني حوالي أربعة قرون من عام 1516م إلى 1914، وخلال القرن التاسع عشر زحف الاستعمار الأوروبي نحو الأقطار العربية، بحيث لم يأت عام 1914م حتى كانت الأقطار العربية تخضع لبريطانيا وفرنسا وإيطاليا⁽¹⁾، وقد حدثت حركة الاستعمار الأوروبي نتيجة توفر عوامل في أوروبا وفي الدولة العثمانية وفي الأقطار العربية ذاتها، فقد كان لازدهار التصنيع في أوروبا أثر في بحث الدول الأوروبية عن أماكن لجلب المواد الخام منها ولتسويق المصنوعات، فجاعت حركة الاستعمار لتحقيق مطالب الدول الصناعية الكبرى، و كما كان لظهور عوامل ضعف الدولة العثمانية _ نتيجة لإفلاس نظام الحكم العثماني _ أثر في إغراء الدول الاستعمارية لاقتطاع الأقطار العربية منها⁽²⁾.

وقد شرعت الدول الأوروبية في عمليات الاقتطاع بموجب معاهدة برلين 1878م حيث حصلت بريطانيا نتيجة اتفاق خاص مع الدولة العثمانية على قبرص، لاحت به بعدم ممانعتها على أن تمد فرنسا نفوذها على تونس، ولوحت فرنسا إلى إيطاليا بعدم ممانعتها على مد نفوذها إلى طرابلس الغرب⁽³⁾، وفي عهد السلطان عبد الحميد الثاني تم احتلال كل من تونس 1881م ومصر 1882م وقبرص وبداية الأطماع الإيطالية في طرابلس الغرب.

(1) - رأفت غنيمي الشيخ: تاريخ العرب المعاصر، عين لدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، (د، م)، 1996 ص.14.

(2) - رأفت غنيمي الشيخ: التاريخ المعاصر للأمة العربية الإسلامية، مرجع سبق ذكره، ص.47.

(3) - مفيد الزبيدي: العصر العثماني، دار أسامة، الأردن، 2009، ص.278.

الفصل الثالث _____ السياسة الخارجية للسلطان عبد الحميد الثاني

- تونس (1881م):

رحبت فرنسا بقبول الرخصة التي مُنحت لها في برلين، خاصة وأن ذلك سيؤدي في نظر حكومتها إلى إعادة التوازن في البحر المتوسط بعد أن كان قد اختل باتفاقية قبرص السرية⁽¹⁾، بالإضافة إلى أن فرنسا كانت تريد تدعيم سيطرتها عليها لتأكيد سيطرتها على الجزائر وحماية حدودها، ولهذا استخدمت مبررا في سبيل مهاجمة تونس، وهو أن قبيلة الخمير هاجمت المستوطنين في الجزائر⁽²⁾، ولهذا أصرت فرنسا على ضرورة تأديبهم، وتذرعت به لاحتلال تونس وضمنت مواقف الدول الأوروبية المنافسة لها، وجهزت الحملة عام 1881م وحاصرت مدينة تونس واستولت عليها واضطر الباي محمد الصادق إلى توقيع معاهدة البارود في الثاني عشر من أيار/ماي 1881م⁽³⁾.

ولتأكيد سيطرتها التامة أخذت تشدد قبضتها على البلاد باحتلالها للمواقع المهمة في تونس، ثم تبع ذلك معاهدة المرسى الكبير وهي إحدى ضواحي مدينة تونس حيث فرضت حمايتها بموجب تلك المعاهدة عام 1883م⁽⁴⁾، وقد حملت المادة الأولى نص الباي على الحماية الفرنسية للمصالح التونسية وخاصة المحافظة على الأمن الداخلي والتمثيل الخارجي، بينما يحتفظ الباي بسيادته المطلقة، وله إدارة الإقليم بموظفين وطنيين، وكانت حجة فرنسا في فرض الحماية هو قيام ثورة مسلحة ضد قوات الاحتلال بمجرد أن أفاق التونسيين من غفوتهم⁽⁵⁾، ورغم أن هذه المعاهدة لم تذكر كلمة

(1)- جلال يحيى: المدخل إلى تاريخ العالم العربي الحديث، دار المعارف، مصر، 1965، ص 277.

(2)- جميل بيضون وآخرون: تاريخ العرب الحديث، ط1، دار الأمن، الأردن، 1991، ص 111.

(3)- مفيد الزبيدي: مرجع سبق ذكره، ص 278.

(4)- جميل بيضون: المرجع السابق، ص 112.

(5)- رافت غنيم الشيخ: تاريخ العرب المعاصر، مرجع سبق ذكره، ص 142.

الفصل الثالث _____ السياسة الخارجية للسلطان عبد الحميد الثاني

الحماية صراحة، إلا أنها كانت حماية فعلية، إذ كانت تونس أول تجربة لنظام الحماية في تاريخ الاستعمار الفرنسي (1)، وهكذا فقد العثمانيون تونس بعد أن احتلها الفرنسيون (2).

مصر (1882):

أصبحت مصر في القرن التاسع عشر دولة قوية شغلت الدبلوماسية بسياساتها وغزواتها وأبدى الشعب العربي في مصر قدرة عجيبة على الاستجابة للوعي والنمو والتطور والنهوض، إلا أن بريطانيا حاصرت الحركة العربية في مصر لأنها كانت ترى أن مصر دولة عربية ويمكنها إذا قويت أن تقف في وجه أطماعها (3)، ومن هنا بدأ التدخل الفرنسي _ الإنجليزي في مصر، وازداد التدخل الأجنبي في عهد الخديوي محمد التوفيق (1874-1892م)، حيث أصبحت وظائف الدولة بين الأتراك والجركس، والتجار والمؤسسات التجارية الأجنبية، وازدادت نفمة الشعب والضباط في الجيش، وتزعم الحركة الوطنية الضابط المصري أحمد العرابي، وقد أمر الخديوي بالقبض على العرابي ورفاقه، إلا أن الجيش أفرج عنه، وإلتحم الجميع عسكريين ومدنيين للمطالبة بإقامة حياة نيابية (4).

(1) - رأفت غنيمي الشبخ: التاريخ المعاصر للأمة العربية الإسلامية، مرجع سبق ذكره، ص 94.

(2) - كارل بروكلمان: مصدر سبق ذكره، ص 590.

(3) - جميل بيضمون: مرجع سبق ذكره، ص 122.

(4) - مفيد الزبيدي: مرجع سبق ذكره، ص 280.

الفصل الثالث _____ السياسة الخارجية للسلطان عبد الحميد الثاني

وفي ظل هذا الجو المشحون تقدمت إنجلترا وفرنسا في 25 ماي 1881م بمذكرة للخديوي⁽¹⁾، تعرضان عليه المساعدة ضد المجلس إذا اقتضى الأمر وقَبِلَ توفيق المذكرة أملاً في الانتصار على الحركة الوطنية معتمداً على الدول الأجنبية، الأمر

الذي أثار مشاعر النواب وسخطهم فأعلنوا تمسكهم بحقهم وإصرارهم عليه⁽²⁾، وكان الباب العالي الذي يمثله السلطان عبد الحميد الثاني قد احتج عن إرسال المذكرة، فرأت هاتان عرض المسألة عن باقي الدول الأوروبية، فلم تبد الدول معارضة في النظر في الأمر، فبادرت الحكومة الفرنسية لمفاوضة الحكومة الإنجليزية في الأمر، فأقرّ قرارهما على إرسال أسطول من قبل الدولتين إلى مياه الإسكندرية⁽³⁾.

وفي هذه الأثناء روجت الصحافة البريطانية عن مذبح الإسكندرية ووصول الأجانب للنازحين ومعهم أمتعتهم وأموالهم، مؤكدة للغرب أن في مصر مذابح رهبية ضد الأجانب، وأشاعت إنجلترا قلاقل داخلية⁽⁴⁾ وفي الوقت نفسه أمرت سفنها الحربية للاقتراب من الإسكندرية، وفي 6 تموز/ أيلول 1882 وجه قائد الأسطول البريطاني في مصر إنذاراً إلى حامية الإسكندرية طالباً من قائدها التوقف عن بناء التحصينات الساحلية في الإسكندرية خلال 24 ساعة، وفي 11 تموز قامت السفن الإنجليزية

(1) - أحمد عوف: أحوال مصر من عصر نُعصر، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة: (د، ت)، ص 136.

(2) - إسماعيل أحمد ياغي: تاريخ العالم العربي المعاصر، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 2000، ص 249.

(3) - عمر الاسكندري، سليم حسن: تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الحاضر، مر: أ.ج. سفتنج، مؤسسة الهنداوي، القاهرة، مصر، 2012، ص 280.

(4) - أحمد عوف: مرجع سبق ذكره، ص 137.

الفصل الثالث _____ السياسة الخارجية للسلطان عبد الحميد الثاني

بقصف الإسكندرية⁽¹⁾، فوُجعت معركة التل الكبير حيث انهزمت القوات المصرية ليحتل الإنجليز القاهرة، وعلى إثر ذلك قبض على الضباط والوزراء حيث سُجنوا ونفوا إلى سيلان⁽²⁾. وظلت بريطانيا تعلن أنّ احتلالها مؤقتاً لمصر حتى عام 1914م عندما أنهت السيادة العثمانية على مصر وأعلنت الحماية عليها، ثم واصلت إنجلترا احتلالها وناقصة فرنسا في إفريقيا وألحقت السودان بسيطرتها ووقّعت معاهد إنجليزية-مصرية عام 1899م أكدت على اتفاقية الحكم الثنائي المشترك في السودان⁽³⁾.

- ألمانيا:

نتيجة التطورات السياسية التي شهدتها الدولة العثمانية بعد مؤتمر برلين الأول 1878م، أدرك السلطان عبد الحميد الثاني أنه بحاجة ماسة إلى قوة أوروبية تقف إلى جانبه لمقاومة مؤامرات إنجلترا وفرنسا وروسيا المكثفة على الدولة⁽⁴⁾، ويقول السلطان عبد الحميد الثاني: "هناك أسباب مختلفة أميل نحو الألمان، وإن لم ترض فرنسا بهذا الميل، ولو لم يكن شيء لتبرير عطفنا تجاه الألمان إلا شخص قيصر لكفى، إنّه رجل تحبه النفس وتثق به فهو جدير بالإعجاب، لقد رفع من شأن بلاده كثيراً"⁽⁵⁾، واعتقد السلطان أنّ ألمانيا بقيادة القيصر وليم الثاني (1888-1918م)، لا تبغي السيطرة والاحتلال بهدف الاستعمار⁽⁶⁾ مثل بريطانيا وفرنسا، وكانت ألمانيا في ذلك

(1) - هاني هندي: الحركة القومية العربية في القرن العشرين، دراسة سياسية، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2015، ص153.

(2) - جميل بيضمون: مرجع سبق ذكره، ص122.

(3) - مفيد التزيدي: مرجع سبق ذكره، ص281.

(4) - محمد سهيل طقوش: مرجع سبق ذكره، ص463.

(5) - السلطان عبد الحميد الثاني: مصدر سبق ذكره، ص124.

(6) - كانت نظرية المستشار الألماني بسمارك الذي سبق غليوم الثاني تهتف إلى درء الحرب عن أوروبا، وذلك بتفتيت الدولة العثمانية وتوزيع أجزاء لا يستهان بها من ممتلكاتها بين الدول الأوروبية الكبرى، خشية أن تؤدي

الفصل الثالث السياسة الخارجية للسلطان عبد الحميد الثاني

الوقت قد نمت وعظمت بعد تحقيق وحدتها، وراحت تبحث عن مجالها الحيوي، فوجدته في الدولة العثمانية⁽¹⁾.

ولتوطيد هذه العلاقة الودية بين البلدين فقد تم تعيين الألماني (فون دروغولتز) في عام 1881م رئيساً للبعثة العسكرية المكلفة بإعادة تأهيل وتدريب الجيش التركي، وزيارة غليوم وليم الثاني وزوجته إلى السلطان عبد الحميد الثاني عام 1898م، لتحسين العلاقات السياسية والاقتصادية و أيضاً العلاقات العسكرية بين الطرفين⁽²⁾، بالإضافة إلى التوقيع على تنفيذ عدة مشاريع منها مشروع سكة حديد برلين بغداد، وخط سكة حديد الحجاز وقد أطلق على مشروع هذا الخط الحديدي قبيل الاختصار (طريق ب.ب.ب، B.B.B.route) ويبدأ هذا الطريق من برلين ويمر ببيرنطة ثم بغداد، وقد اختيرت كلمة بيرنطة بدلاً من استانبول أو الأستانة أو القسطنطينية، حتى تبدأ أسماء هذه المحطات الثلاثة الرئيسية بحرف الباء⁽³⁾، وهكذا بدأ القطار الحديث يهدد مستقبل الجمل الآسيوي في جميع أنحاء الإمبراطورية لأن خطوط المشروع الجديد ستصل أجزاء الدولة بشبكة واسعة تمر ببغداد وتنتهي عند إحدى موانئ على البحر الأبيض⁽⁴⁾، وفي سنة 1903م، وقعت ألمانيا على الامتيازات النهائية بخصوص المشروع، إلا أنه وبسبب نشوب النزاعات مع الدول الأوروبية المنافسة لم يحصل على موافقة مد سكة الحديدية إلا في عام 1911م⁽⁵⁾.

المنافسة إلى إشعال حرب أوروبية عامة قد تضطر ألمانيا إلى دخولها، وقد نعصف بالمكاسب التي سبق أن أحرزتها وتوجتها بقيام الاتحاد الألماني سنة 1871م، ينظر: عبد العزيز محمد الشناوي، مرجع سبق ذكره، ص 170.

(1) - فارس عثمان: مرجع سبق ذكره، ص 120.

(2) - محمد جمال الدين العلوي، بان غانم الصلغ: مرجع سبق ذكره، ص 469.

(3) - عبد العزيز محمد الشناوي: مرجع سبق ذكره، ص 174.

(4) - ساري منز باتريك: مصدر سبق ذكره، ص 131.

(5) - نوتسكي: تاريخ الأقطار العربية الحديث، ط9، دار الفرابي، بيروت، لبنان، 2007، ص 358.

الفصل الثالث _____ السياسة الخارجية للسلطان عبد الحميد الثاني

- إيطاليا:

إن ضعف الدولة العثمانية قد دفع الدول الأوروبية إلى التخطيط من أجل اقتسام
تركة الرجل المريض، وكانت إنجلترا وفرنسا المخططين ثم دخلت إيطاليا حلبة
السباق، فبدأت بالتغلغل في ليبيا⁽¹⁾ بالبعثات العلمية التي تعمل على نشر النفوذ
الغربي⁽²⁾، وفي 1900م عقدت إيطاليا اتفاقية مع فرنسا حول تحديد مناطق النفوذ في
البحر الأبيض المتوسط، وبموجبها تخلت فرنسا لصالح إيطاليا عن جميع مطامعها في
طرابلس الغرب، ومقابل ذلك منحتها إيطاليا حرية العمل في مراكش⁽³⁾، وفي مؤتمر
الجزيرة 1906م الذي انعقد لحل المشكلة المراكشية اعترفت لفرنسا لإطلاق يدها في
المغرب، وتم الاتفاق على إطلاق يد إيطاليا في طرابلس الغرب⁽⁴⁾، ومن هنا قررت
إيطاليا احتلال ليبيا، فأندرت الدولة العثمانية وأبلغتها عن نيتها في احتلال ليبيا وطلبت
منها تسهيل عملية الاحتلال بحجة حماية رعاياها من اضطهاد الدولة العثمانية⁽⁵⁾، ولكن
ولكن رد هذه الأخيرة كان ضعيفاً، لذلك وفي 29 أيلول/سبتمبر عام 1911م أرسلت
إيطاليا إلى العثمانيين بيان بإعلان الحرب⁽⁶⁾ وبدأت إيطاليا باحتلال مدينة طرابلس،

(1)- كان ساحل إفريقيا الشمالي أقرب السواحل الإفريقية لإيطاليا، فمن الطبيعي أن يكون هو المجال المناسب
لتوسيع دولة كإيطاليا لا تمكثها قوتها البحرية من تكوين إدارة مستعمرات في مناطق نائية بعيدة كثيراً عن الأم
الكبرى، ينظر: شوقي عطالله الجمل، عبد الله عبد الرازق إبراهيم: تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، ط 2، دار
الزهراء، الرياض، 2002، ص 204.

(2)- جميل بيضاء: مرجع سبق ذكره، ص 133.

(3)- نوتسكي: مصدر سبق ذكره، ص 337.

(4)- مفيد الزبيدي، مرجع سبق ذكره، ص ص 281-282.

(5)- إسماعيل أحمد باغي: تاريخ العالم العربي المعاصر، مرجع سبق ذكره، ص ص 314-315.

(6) وكانت الأحوال الداخلية للدولة العثمانية و ليبيا خاصة قد عجلت باتخاذ إيطاليا لهذه الخطوة الحاسمة، ذلك أنه
في عام 1908م قامت في الدولة العلية ثورة تزعمها حزب تركيا الفتاة للمطالبة بالإصلاحات الدستورية وغيرها من

الفصل الثالث _____ السياسة الخارجية للسلطان عبد الحميد الثاني

طرابلس، ثم اتجهت إلى المدن الأخرى وأهمها برقة فاحتلتها، ثم احتلت طبرق وبنغازي، وأعلن الإيطاليون بخدعة واضحة أنهم جاؤوا إلى البلاد ليخلصوها من ظلم الأتراك، وليعطوا للناس حريتهم الدينية والاجتماعية، إلا أن القائد الإيطالي الذي نشر هذا الإعلان قد ارتكب مذابح لا توصف في حق الشعب الليبي⁽¹⁾.

المبحث الثاني: السلطان عبد الحميد الثاني وحركة الجامعة الإسلامية

لم تظهر فكرة الجامعة الإسلامية في معترك السياسة الدولية إلا في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، وبالضبط بعد ارتقاء هذا الأخير إلى عرش الدولة العثمانية عام 1876م، فبعد أن التقط السلطان أنفاسه وجرّد المتأثرين بالفكر الأوروبي من سلطاتهم وتولّى قيادة البلاد قيادة حازمة، اهتم بفكرة الجامعة الإسلامية⁽²⁾، حيث أراد أن يعيد إلى الخلافة هيبتها ومكانتها الأولى، ليأخذ منها قوة دافعة توصله إلى أغراضه السياسية⁽³⁾، فقد كان الهدف من هذه الجامعة هو:

- 1/ _التفاف الشعوب الإسلامية حول الخلافة العثمانية.
- 2/ _توطيد الصلة بين مركز الخلافة وسائر الولايات.
- 3/ _تقديم بديل إسلامي للحلول الدستورية والإصلاحية المطروحة.
- 4/ _التلويح بخطر الوحدة الإسلامية وتعبئة سائر القوى للجهاد ضد الدول الطامعة⁽⁴⁾.

الإصلاحات العصرية، واضطر السلطان عبد الحميد الثاني للخضوع لطئب الثوار، ينظر: شوقي عطا الله الجمل، عبد الله عبد الرازق إبراهيم: تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، مرجع سبق ذكره، ص 205.

(1) - جميل بيضاء: مرجع سبق ذكره، ص 134.

(2) - علي محمد الصلابي: السلطان عبد الحميد الثاني وفكرة الجامعة الإسلامية، وأسباب زوال الخلافة العثمانية، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 2012، ص 30.

(3) - عبد العزيز محمد الشناوي: مرجع سبق ذكره، ص 60.

(4) - موفق بني مرجة: مرجع سبق ذكره، ص 126.

الفصل الثالث _____ السياسة الخارجية للسلطان عبد الحميد الثاني

ومن هنا شكَّلت الجامعة الإسلامية عامل دعم لموقف السلطان عبد الحميد الثاني بوصفه ممثلٌ للمسلمين، ورافع لواء الجامعة، حيث أيقض الشعور الإسلامي وحثَّ المسلمين على أن الوقت قد حان لإقامة جامعة إسلامية توحدهم لمواجهة العدوان الغربي⁽¹⁾.

وكانت سياسة عبد الحميد الثاني في إطار إنجاح هذه الحركة أنه أضاف على حياته الخاصة مظاهر الزهد والتقشف، واهتم بممارسة الشعائر الدينية علانية وأحاط نفسه بعلماء الدين، وأنشأ معهداً لتدريب الواعظين الذين كانوا ينتشرون بعد التخرج في مختلف الأقطار الإسلامية⁽²⁾، كما عمل على التودد إلى العرب عن طريق ضم شخصيات عربية دينية ومدنية وتعيينهم في مراكز الدولة العليا وفي الولايات، ويعتبر الشيخ أبو الهدى الصيادي⁽³⁾ والشيخ ظافر المدني والشيخ فضل العلوي من أعظم الشخصيات الدينية العربية التي لعبت دوراً في زمن السلطان عبد الحميد الثاني، فقد كان الصيادي الحلبي شيخ الطريقة الرفاعية في سوريا من ألمع الشخصيات العربية لدى السلطان العثماني، وقد استلم الدعاية للجامعة الإسلامية وقوى من سمعة الخليفة

(1) - إسماعيل أحمد ياغي: الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مرجع سبق ذكره، ص 196-197.

(2) - عيسى أسعد العبد الله: مرجع سبق ذكره، ص 20.

(3) - أبو الهدى الصيادي (1849_1909م): من أشهر علماء الدين في عصره، كان نقيباً لأشراف عموم حلب، لعم نجمه في عهد السلطان عبد العزيز (عم السلطان عبد الحميد)، بلغ مكانة كبيرة في عهد السلطان عبد الحميد فوجهت له رتبة الحرميين الشرفيين، وكان شيخ مشايخ دار الخلافة، قضى 30 سنة في خدمة الدولة العثمانية ويؤكد واجب المسلمين في مؤازرة الخليفة، وعندما قام حزب الإنقاذ والتزقي بالانقلاب وعزل السلطان عبد الحميد ضبط رجال الحزب ووافق تبين من خلالها أن أبو الهدى الصيادي لم يكن منافقاً ولا متجسماً للسلطان، بل كان منه في مقام الناصح المرشد، ولأبو الصيادي رسالة بعنوان 'داعي الرشاد بسبيل الإنقاذ والائقياد، ينظر: محمد حرب، مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني، مرجع سبق ذكره، ص 270.

الفصل الثالث ————— السياسة الخارجية للسلطان عبد الحميد الثاني

في البلاد العربية، بالإضافة إلى أنه وجّه الدعوات إلى رجال الفكر وزعماء المسلمين لزيارة إسطنبول، بهدف إيجاد صلات معهم⁽¹⁾.

1- جمال الدين الأفغاني⁽²⁾:

اعتبر الأفغاني الأب الروحي والعقل المدبر للجامعة الإسلامية وقد ترك أثراً عميقاً على العالم الإسلامي في العصر الحديث وفي الجزء الأخير من القرن التاسع عشر⁽³⁾، فقد كانت هذه الحركة تدين بالكثير للسيد جمال الدين الأفغاني، الذي ترأسها وقواها وإن كان هو نفسه يعتبر دليلاً ونتاجاً للحالة التي وصل إليها العالم الإسلامي في ذلك الوقت⁽⁴⁾، فهو يرى "أن لا جنسية للمسلمين إلا في دينهم، وعلما وعلم العقلاء أجمعين أن المسلمين لا يعرفون لهم جنسية إلا في دينهم واعتقادهم، وكان كثيراً ما يطالب

(1) - عبد الرؤوف سنو؛ السلطان عبد الحميد الثاني والعرب، الجامعة الإسلامية وأثرها في احتواء القومية

العربية، حوار العرب، بيروت، العدد4، 2005، صص5-6.

(2) - جمال الدين الأفغاني: ولد الأفغاني في قرية اسد اباد في أفغانستان عام 1839م، وتلقى تعليمه في مدينة كابل،

حيث تعلم اللغة العربية والعلوم الدينية من تفسير وحديث وفقه وكلام وتصوف، والعلوم العقلية من منطق

وررياضيات وتاريخ، انتقل إلى الهند فتعلم اللغة الإنجليزية، وجمع فيها بين الثقافة القديمة والحديثة، ثم رحل إلى مكة

المكرمة حاجاً عام 1273/1857م، وعاد إلى أفغانستان فتولّى رئاسة وزرائها في عهد الأمير محمد أعظم، إلا

أنه عزل من منصبه إثر انقلاب دير ضد الأمير محمد، ثم ذهب إلى مصر واتصل ببعض أساتذة الأزهر وطلابه،

ثم انتقل إلى الأستانة بناءً على دعوة من السلطان عبد العزيز، إلا أنه خلاف بينه وبين شيخ الإسلام حسن فهمي

افندي، فاضطر على إثره إلى مغادرة دار الخلافة وفي عهد السلطان عبد الحميد الثاني استدعي من طرف هذا

الأخير وكان ذلك عام 1892م، كان له الأثر والنور الكبير في إنعاش الجامعة الإسلامية، وظل في دار الخلافة

حتى وفاته سنة 1314هـ/1896م، ينظر: علي المحافظ، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة

1798_1914م، الاتجاهات الدينية والسياسية والاجتماعية والعلمية، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1987، ص

صص71-72.

(3) - جميل بيضرين: مرجع سبق ذكره، ص156.

(4) - جلال يحيى: مرجع سبق ذكره، ص211.

الفصل الثالث ————— السياسة الخارجية للسلطان عبد الحميد الثاني

المسلمين بأن يعتصموا بحال الرابطة الدينية التي هي أحكم رابطة اجتمع فيها التركي بالعربي، والفارسي بالهندي، والمصري بالمغربي، وقامت لهم مقام الرابطة الجنسية⁽¹⁾، وتوسط جمال الدين بين السلطان عبد الحميد والفرس، حيث كان من أخطر الإنجازات في هذه الحركة هو تصفية موقف الخلاف بين تركيا وفرنسا، وبين السنة والشيعة، ومن كلمات السلطان في هذا الصدد: أن السم القديم يجب أن لا يسري في آسيا القوي وعلى السنيين والشيعة أن يتحدوا لمقاومة أوروبا في محاولتها نقر العالم⁽²⁾.

2- مشروع السكة الحديدية ودوره في نجاح السياسة الإسلامية:

إن من أهم الأحداث السياسية التي شهدتها الدولة العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني هو أن يظهر هذا الأخير أمام ثلاثمائة مليون من المسلمين بمظهر الخليفة والزعيم الروحي للإسلام، وثبت في نفوس رعاياه الحماس والاستجابة لشعوره الديني، حيث مذ سكة حديد الحجاز التي ستيسر لكل مسلم في المستقبل القريب سبيل الحج إلى الأماكن المقدسة في مكة والمدينة⁽³⁾، وأوكل السلطان عبد الحميد مهمة تنفيذ هذا المشروع العملاق لأحمد عزت باشا العابد⁽⁴⁾ والمعروف في التاريخ باسم (عزت باشا العربي)⁽⁵⁾، وقد وضعت خطة تصل قلب العالم الإسلامي الديني بالسكة الحديدية تمر

(1) - موفوق بني المرجة: مرجع سبق ذكره، ص 127.

(2) - أنور الجندي: مرجع سبق ذكره، ص 99.

(3) - جمال عبد الهادي محمد وآخرون: تاريخ الأمة الواحدة، صفحات من تاريخ الدولة العثمانية (699-

1343م/1299-1924م)، دار التوزيع والنشر الإسلامية، (د، م)، (د، ت)، ص 65.

(4) - عزت باشا العابد: هو عربي من بلاد الشام، توصل إلى وظيفة السكرتير الثاني للسلطان عبد الحميد الثاني،

ينظر: عيسى أسعد عبد الله، مرجع سبق ذكره، ص 19.

(5) - مصطفى طنعت قاطر جياو غلر: 'الخصوصيات الأساسية للفكر الإسلامي'، مجلة حراء، (د، م)، العدد السادس

عشر، 2009، ص 19.

الفصل الثالث _____ السياسة الخارجية للسلطان عبد الحميد الثاني

خطوطها من دمشق جنوباً وتتجه نحو فلسطين والمدينة ومكة في بلاد العرب ثم تتصل بشعبة خط حديد برلين بغداد وبعدها تسير على شواطئ البحر الأحمر على بعد مائتين ميل من شرقي السويس⁽¹⁾.

وانطلقت الأشغال لتنفيذ المشروع بحلول عام 1900م، واستمر قرابة ثمانية سنوات، ولم يكتمل بنته عام 1908م حتى تمّ الافتتاح الرسمي له عندما وصل أول قطار إلى المدينة المنورة بتاريخ 22 أوت معلناً نهاية العمل من الناحية المبدئية⁽²⁾، ذلك أن إدارة الخط الحجازي قد مرّت بمرحلتين: الأولى منذ بداية إنشاء الخط وحتى إسقاط السلطان عبد الحميد 1909م، والثاني بعد تسلّم حزب تركيا الفتاة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، وخروج الدولة الجزيرة العربية في عام 1918م⁽³⁾، ولعلّ العزم الذي أبداه السلطان عبد الحميد في إنشاء سكك خط حديد الحجاز لعب دوراً أساسياً في إزالة كافة الصعوبات والعوائق الفكرية والاقتصادية التي كانت تعاني منها الدولة العثمانية منذ نصف قرن قبل هذا التاريخ⁽⁴⁾، فخلال عشرة سنوات من التشغيل الناجح للخط الحجازي زادت أعداد الحجاج بسبب توفير الأمن والقضاء النسبي على نهب الحجاج، وزادت أعداد القادمين للديار المقدسة، وأصبحت المدينة المنورة محورا جديداً للتجارة

(1) - ساري منز باتريك: مصدر سبق ذكره، ص140.

(2) - نزار عنوان عبد الله: 'سكة حديد الحجاز وأثراف مكة المكرمة (1900_1914م) رؤية تاريخية لمراحل البناء والموقف المعارض (سكة حديد الحجاز، الفكرة والبناء، الموقف المعارض)'، قسم التاريخ، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ص2.

(3) - عبد اللطيف بن محمد الحميد: 'وثائق سكة حديد الحجاز في الأرشيف العثماني، دار الملك عبد العزيز'، (د،م)، (د، ع)، (د، ت)، ص63.

(4) - متين هولكر: الخط الحديدي الحجازي، المشروع العملاق للسلطان عبد الحميد الثاني، ترجمة محمد صواش، ط1، دار النيل، القاهرة، 2011، ص16.

الفصل الثالث ————— السياسة الخارجية للسلطان عبد الحميد الثاني

يتم فيها تبادل تجارة الشام بتجارة الحجاز ووسط الجزيرة، واستفادت الدولة عسكرياً من الخط لسهولة وصول القوات العثمانية للمنطقة⁽¹⁾، (ينظر ملحق رقم 02، ص 98)

3- مدى نجاح الجامعة الإسلامية:

لقيت الجامعة الإسلامية تأييداً كبيراً بين المسلمين في شتى الأقطار وعلى كافة مستوياتهم الثقافية، فقد كانوا يرون أن خلاصهم هو بنجاح قيام الجامعة الإسلامية وبالتالي وحدة المسلمين⁽²⁾، والدليل على إيقاظ الشعور الإسلامي هو الاهتمام الواسع في أرجاء العالم الإسلامي كافة بأخبار الحرب العثمانية اليونانية التي نشبت في عام 1897م، حول جزيرة كريت، إذ في أعقاب هذه الحرب التي انتصرت فيها الدولة العثمانية أقيمت الاحتفالات في العالم الإسلامي عمت الثقة فيها للتخلص من السيطرة الأوروبية النصرانية تجسدت في انتفاضات وإضرابات وكتابات في الصحف في مختلف أنحاء العالم الإسلامي⁽³⁾، ومن ثم أخذ السلطان عبد الحميد الثاني يوسع دائرة هذه الوحدة لتشمل مسلمي العالم كله، ومن ذلك كانت صيحته "يا مسلمي العالم اتحدوا" إزاء الغزو الإسلامي⁽⁴⁾.

المبحث الثالث: موقف السلطان عبد الحميد من الحركة الصهيونية

ازدادت المشكلات وتفاقت واشتدت الأزمات وتصاعدت المواقف لتزيد من وطأة الظروف المعقدة التي أمدت السلطان عبد الحميد بمشكل جديد زاد من حدة قلقه على مصير الدولة، كظهور الحركة الصهيونية التي بدأت تطرق كل الأبواب من أجل

(1) - عبد اللطيف بن محمد الحميد: مرجع سبق ذكره، ص 63-64.

(2) - جميل بيضون: مرجع سبق ذكره، ص 159.

(3) - سيبين محمد طقوش: مرجع سبق ذكره، ص 490-491.

(4) - أنور الجندي: مرجع سبق ذكره، ص 99.

الفصل الثالث _____ السياسة الخارجية للسلطان عبد الحميد الثاني

تحقيق حلمها بتأسيس وطنها القومي في فلسطين، فإنها اختارت هذا الظرف الصعب لتبدأ محاولاتها مع السلطان عبد الحميد الثاني⁽¹⁾.

حافظت السياسة العثمانية بقيادة السلطان عبدالحميد الثانيعلى الثابت إزاء الصهيونية طوال الفترة الممتدة من عام 1880م والى النصف الأول من عام 1890م، ولم تطرأ عليها أية آراء جوهرية حتى ظهور كراسة تيودور هرتزل⁽²⁾ والمعروفة "بالدولة اليهودية"، وضمن تأييد اليهود لكتاب هرتزل والدعاية له، فقد أخبر الدكتور Arbalq_ مدير مستشفى روتشيك_ هرتزل في القدس عن جميع محادثات اليهود حول خططهم القومية⁽³⁾، والتي ترمي إلى جمع شتات اليهود وإعادةهم إلى فلسطين لتأسيس دولة تحمي مشردي اليهود الذين تشردهم جميع أمم الأرض وشعوبها_ لأعمالهم الإجرامية وغير الأخلاقية_ وقد اشتق أقطاب اليهودية العالمية اسم حركتهم (الحركة الصهيونية) من جبل صهيون أحد جبال القدس، وقد تردد ذكره في التوراة والإنجيل،

(1) - محمود عبد الواحد محمود، مواهب عدنان أحمد: موقف السلطان عبد الحميد الثاني من الحركة الصهيونية، ثوابت مبدئية في عصر ضعف مؤسسات الدولة العثمانية، مجلة جامعة تكريت للعلوم، مجلد 18، العراق، العدد 8، 2011، ص173.

(2) - تيودور هرتزل: مؤسس الحركة الصهيونية الجديدة، ولد بمدينة بودابست عام1860م، وانتقل غنى فيينا واستقر بها، واشتغل بالصحافة وانشق بجريدة" نويه فرانك بريسي" بين 1891_1891م، كتب كتاب"الدولة اليهودية"، ضمنه القواعد التي تقوم عليها الصهيونية في صورتها الجديدة، بدأ هرتزل نشاطه بالدعوة غنى عقد مؤتمر يضم ممثلين لليهودية الأوروبية بمدينة بازل السويسرية في عام 1897م، وانتخب هرتزل رئيساً للمؤتمر ثم رئيساً للمنظمة الصهيونية، وفي سبيل تحقيق هدفه بمحاولة الحصول على موافقة الحكومة العثمانية بفتح باب الهجرة اليهودية إلى فلسطين، قيل السلطان عدة مرات، لكن قوبلت كل اقتراحاته بالرفض، توفي تيودور ببلدة اولاخ في 3 حزيران/ يونيو 1904م، ثم نقلت رفاته بعد ذلك إلى فلسطين المحتلة، ينظر: عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج 7، المؤسسة العربية، بيروت، 1994، ص107.

(3) - أحمد توري النعيمي: اليهود والدولة العثمانية، ط1، دار البشير، الأردن، 1996، صص 99-100.

الفصل الثالث ————— السياسة الخارجية للسلطان عبد الحميد الثاني

وكان غرضهم من اختيار ذلك هو إثارة الشعور الديني (1) في بلاد العالم، واكتساب تأييد العناصر الغربية وعطفها(2).

وقد استطاع زعيم الحركة الصهيونية العالمية تيودور هرتزل أن يتحصل على تأييد أوروبي للمسألة اليهودية من دول ألمانيا وبريطانيا وفرنسا، وجعل من هذه الدول قوة ضغط على الدولة العثمانية التي كانت تعاني من مشاكل مالية، حيث كانت هذه الثغرة هي السبيل الوحيد أمام هرتزل كي يؤثر على سياسة عبد الحميد الثاني في اتجاه اليهود(3)، وقد تجسدت مواقف السلطان من مشاريع الاستعمار والصهيونية في الرد بالرفض القاطع لتلك المحاولات المتعددة والمجهودات الكبيرة التي قام بها عميل الاستعمار الغربي هرتزل (4)، فقد اقترح هذا الأخير من أجل تنفيذ فكرته، إنشاء مؤسستين الأولى أطلق عليها مجتمع اليهود والثانية الشركة اليهودية، ثم هناك هيئة ثالثة تتكون من المجموعات المحلية التي ستساعد بدورها في تسهيل عملية التهجير من الأقاليم الموجودة بها ويفضل هرتزل أن يبدأ بخلق الشركة اليهودية في البداية، نظراً لأنها ستكون بتوفير الموارد المثالية اللازمة لإنشاء مجتمع اليهود(5)، وقد كشف

(1) يقول هرتزل: أما فلسطين فهي وطننا التاريخي الخالد في ذاكرتنا أيد الدهر، فيمجرد ذكر اسم فلسطين يجذب شعبنا بقوة هائلة، ينظر: تيودور هرتزل: الدولة اليهودية، تر: محمد فاضل، ط 1، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2007، ص66.

(2) إسماعيل أحمد ياغي: تاريخ العالم العربي المعاصر: مرجع سبق ذكره، 152.

(3) علي محمد محمد الصلابي: السلطان عبد الحميد الثاني وفكرة الجامعة الإسلامية وزوال الخلافة العثمانية، مرجع سبق ذكره، ص57.

(4) رفيع شاكرا انتنشة: مرجع سبق ذكره، ص10.

(5) محمد خليفة حسن: الصهيونية، طبيعتها وعلاقتها بالثقافة اليهودية، ط 1، دار المعارف، القاهرة، 1981، ص100.

الفصل الثالث _____ السياسة الخارجية للسلطان عبد الحميد الثاني

هرتزل عن خطته المتعلقة بالهجرة في كتابه "الدولة اليهودية" حيث كتب: "لا يجب أن نتخيل

أن رحيل اليهود سيكون أمراً مفاجئاً، بل تدريجياً ومتواصلًا، وسيستمر لعدة عقود، حيث سيرحل الأكثر فقراً أولاً لزراعة الأرض ووفقاً لخطة يتم وضعها مسبقاً سيقوم هؤلاء الفقراء بإنشاء الطرق والكباري والسكك الحديدية وأجهزة التلغراف، وتنظيم الأنهار وبناء المساكن الخاصة بهم، سيخلف عملهم هذا تجارة، وستخلف التجارة أسواقاً، وستجذب الأسواق مستعمرين جدد، حيث سيذهبون طواعية على نفقتهم الخاصة متحملين المخاطر التي ستواجههم⁽¹⁾.

والواقع أن الهجرة اليهودية إلى فلسطين قد تزايدت بعد اغتيال القيصر الروسي الكسندر الثاني عام 1881م، وكانوا اليهود قد شاركوا في اغتياله، وبذلك ظهرت موجة من الاضطرابات ضد اليهود الروس⁽²⁾، ولهذا هاجروا إلى أراضي الإمبراطورية العثمانية، فشرع اليهود الذين لجأوا إلى الدولة العثمانية بسعادة عظيمة إزاء تقبل حكام السلطنة العثمانية لهم، لكن يبدو أن حسن النية لم تأت بثمار طيبة، حيث لم يحل عام 1892م إلا وأقيمت 16 مستوطنة في فلسطين، فبدأت الدولة العثمانية باتخاذ التدابير والقوانين المشددة في موضوع استيطانهم في فلسطين⁽³⁾.

ورغم هذا فإن المحاولات الصهيونية استمرت لإقناع السلطة العثمانية بضرورة الموافقة الرسمية على إنشاء المستعمرات ورفع قيود الهجرة.... ونظراً لموقف

(1) - تيودور هرتزل: مصدر سبق ذكره، ص 64.

(2) - حسان علي حلاق: موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية 1897_1909م، دار الأحد، بيروت، 1978، ص 85.

(3) - حسين أوزدمير: فلسطين في العهد العثماني وصرخة السلطان عبد الحميد الثاني، تر: ونيد عبد الله الققط، ط 1، دار النيل، القاهرة، مصر، 2013، ص 97.

الفصل الثالث السياسة الخارجية للسلطان عبد الحميد الثاني

السلطان عبد الحميد الثاني الراض لكل الوساطات الأوروبية بشأن الهجرة اليهودية إلى فلسطين، فقد قرر الزعيم الصهيوني تيودور هرتزل السفر بنفسه إلى الأستانة للقاء السلطان وعرض المساعدات المالية اليهودية⁽¹⁾، ذلك أن عرضه تمثل في أن يساعد السلطان اليهود من خلال إعطائهم قطعة الأرض التي يريدون، وهم بدورهم يصلحون أمره في البلاد ويثبتون ماليته، وهذا ما صرح به هرتزل في يومياته وبالتحديد في 15/06/1996م، قائلاً: "تصرف عشرين مليون ليرة تركية لنصلح الأوضاع المالية في تركية، ندفع من هذا المبلغ مليونين بدل فلسطين، وهذه الكمية تستند على تحويل رأس مال من مدخول الحكومة الحاضر الذي هو ثمانون ألف ليرة تركية في السنة، وبالثمانية عشر مليوناً تحرر تركية من بعثة الحماية الأوروبية"⁽²⁾، وهنا ردّ السلطان عبد الحميد الثاني على طلب هرتزل الردّ الذي خلّده التاريخ واعتبره عنواناً لمواقف السلطان العثماني الذي رفض بيع فلسطين رغم أوضاع دولته ومغريات هرتزل حيث قال: "لا أقدر أن أبيع ولو قدماً واحداً من البلاد، لأنها ليست لي بل لأمتي، لقد حصلت أمتي على هذه الإمبراطورية بإراقة دماؤها، وسوف تحميها بدمائها قبل أن تسمح لأحد باغتصابها منّا، فليحتفظ اليهود بملايينهم فإذا قسمت الإمبراطورية فقد يحصل اليهود على فلسطين دون مقابل، إنما لن تقسم إلا على جثتنا، ولن أقبل بتشريحنا لأي غرض كان"⁽³⁾، وقد حاول هرتزل بعد شهرين معاودة الاتصال بالسلطان وعرض عليه عروض مالية مضاعفة، لكنّ السلطان واجهها بالرفض مثل

(1) - حسان علي حلاق: نور اليهود والقوى الدولية في خلع السلطان عبد الحميد الثاني من العرش

1908_1909م، اصدار الجامعة، بيروت، (د، ت)، ص 7، 9-10.

(2) - تيودور هرتزل: يوميات هرتزل، إعداد: أنيس صايغ، تر: هندا شعبان صايغ، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، لبنان، ص 32-33.

(3) - رفيق شاكر الانتشة: مرجع سبق ذكره، ص 10.

الفصل الثالث السياسة الخارجية للسلطان عبد الحميد الثاني

سابقتها⁽¹⁾، فقد قال " إن ديون الدولة ليست عاراً عليها لأن غيرها من الدول كفرنسا مدينة ولا يضيرها ذلك،

ليحتفظ اليهود بأموالهم، فالدولة العلية لا يمكن أن تحتمي وراء حصون بنيت بأموال أعداء الإسلام⁽²⁾.

وبعد انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بازل (بال) السويسرية أغسطس/ أوت 1897م، أجرى هرتزل اتصالات مكثفة مع أباطرة وقيصرة أوروبا لإقناعهم بمشروع الصهيوني في فلسطين، كما حاول مجدداً الاتصال بالسلطات العثمانية، لكن السلطان كان متبعباً لهذا المؤتمر وإلى المقررات التي تمخضت عنه، فحرص على تتبع النشاط الصهيوني والمحافل الماسونية في الدولة، فكان قراره الأخير ضرورة منع إسكان اليهود في فلسطين⁽³⁾.

وفي زيارة ثالثة لهرتزل للسلطان في 18 ماي 1902م، أعاد هرتزل عرض مشروعه حيث كان رفقة الحاخام التركي "موسى ليفي" هذا الأخير الذي نظر إليه السلطان بعد سماعه لعرض هرتزل نظرة غضب وقال له: "إننا نظن بأن قومكم يعيشون بعدالة ورفاه وأمن، وأنكم تعاملون المعاملة الحسنة، والتي يعامل بها كافة تبعتنا، دون تفریق أو تمييز، فهل لكم شكاية؟"، فأجابه الحاخام قائلاً: "أستغفر الله سيدي... لا توجد لنا شكاية"⁽⁴⁾، ثم قال السلطان: "لا يمكننا أن نعمل أكثر مما

(1) - نفسه، ص 10.

(2) - موفق بني المرجة، مرجع سبق ذكره، ص 214.

(3) - حسان علي حلاق: موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية (1897_1909م)، مرجع سبق ذكره،

ص 131.

(4) - رفيق شاكر الانتشة: مرجع سبق ذكره، ص 11.

الفصل الثالث _____ السياسة الخارجية للسلطان عبد الحميد الثاني

عملناه حتى الآن لجماعتكم، حيث أنكم تستفيدون من كافة خيرات بلادنا كمواطنينا الآخرين، بل أنتم متعمون ومرهفون أكثر من سواكم، أفأظنكم نسيتم الاضطرابات والعذاب الذي كنتم ترونه في أنحاء الدنيا⁽¹⁾، ونظر إلى هرتزل وقال: إننا لا نفرط بشبر واحد من بلادنا دون أن نبذل أكثر مما بذلناه من دماء في سبيلها⁽²⁾.

وهكذا ونتيجة المواقف الصلبة للسلطان عبد الحميد الثاني ضد المخططات الصهيونية، أصبح من المؤكد لدى زعمائهم أنه لا مجال لتنفيذ المشروع الصهيوني وتهويد فلسطين مادام السلطان على العرش، فبدأت الصهيونية تستميل بعض الأتراك الموجودين في بعض العواصم الأوروبية، وأتراك الدولة بمساعدة يهود دونمة سلانك للتخطيط في مسألة خلع السلطان عبد الحميد الثاني⁽³⁾.

المبحث الرابع: الانقلاب العثماني الكبير وخلع السلطان عبد الحميد الثاني من العرش
هدم السلطان عبد الحميد الثاني ما بناه الأحرار وعلى رأسهم مدحت باشا من القانون الأساسي الذي أعلن عنه سنة 1876م، ورغم ذلك فإن الفكرة⁽⁴⁾ لم تمت في رؤوس العثمانيين⁽⁵⁾، إذ أدركت الفئة المثقفة بأن الاعتماد على الصحف في نشر أفكارهم لا يفي بالغرض، ولكي تأخذ هذه الأفكار طريقها إلى النجاح لابد وأن ينظم

(1) - حسان علي حلاق: نور اليهود والقوى الدولية في خلع السلطان عبد الحميد الثاني من العرش 1908_1909م

(2) - رفیق شكر الننتشة: المرجع السابق، ص 12.

(3) - صلاح حسن العارور: السلطان عبد الحميد الثاني وموقفه من أطماع اليهود في القدس، (د، م)، (د، ج)، (د، ت)، ص 141.

(4) - في 1857م قال مدحت باشا: "الصدقاتي الأعضاء إن من نظر غلى الأمام وفكر في حوادث الأيام، فهل بجني الثمر من غير زرع فلا ينجح الأمل إلا بالعمل والصبر، فعليه منى تمت الاستعدادات وصارت البلاد صالحة لقبول النظام الدستوري فحينئذ نفوز بما نتمناه كما دلت الحوادث والعبر في كل زمان ومكان، ينظر: عزراسموياسون، تاريخ مدحت باشا وجمعية الإتحاد والترقي العثمانية، مصدر سبق ذكره، ص 77.

(5) - محمد فريد بك المحامي: مصدر سبق ذكره، ص 705.

الفصل الثالث _____ السياسة الخارجية للسلطان عبد الحميد الثاني

الشعب وتعباً قوته لتحقيق هذه الشعارات المرفوعة، حيث أن القوة المسيطرة لا تستسلم طواعية للقوى المعارضة لها⁽¹⁾، ولهذا اجتمعوا الأحرار سرّاً وأنشأوا الجمعيات السياسية في بلاد الحرية التي نبؤعوها، ونشروا الجرائد والكتب والرسائل⁽²⁾.

1- تأسيس جمعية الاتحاد والترقي :

تشكلت جمعية سرية في آذار/مارس 1889م هدفها عزل السلطان، أطلق عليها اسم "الاتحاد والترقي"⁽³⁾، وكان مؤسس هذه الجمعية طالباً ألبانياً يدعى إبراهيم تيمو. مع ثلاثة من زملائه في الكلية الطبية العسكرية اسحق اسكوني وشركس محمد رشيد وعبد الله جودت، وانضمت إليها مجموعة أخرى من الأعضاء⁽⁴⁾، ولقد قسم الكاتب "أرنست رامزور" أدوار الجمعية إلى ثلاثة أدوار أولها يمتد من سنة 1889 إلى 1897م، وكانت الغاية هي عزل السلطان عبد الحميد وكان العمل داخل

(1) - كريم طلال مسير الركابي: ثورة الاتحاديين في تركيا 1908م، مجلة كلية التربية الأساسية، (د.م)، العدد التاسع الأربعون، 2006، ص ص 144-145.

(2) - روجي الخالدي: الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة، أصدق تاريخ لأعظم انقلاب، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2013، ص 9.

(3) - جمعية الاتحاد والترقي: هي جمعية عثمانية نشأت في أوروبا كحركة مناوئة للاستبداد ومناذية بالإنجند والتحديث في الدولة العثمانية، وتكون في البدء جمعية تركيا الفتاة، التي ركزت على النشاط الفكري ثم تدرج العمل فتكونت خلايا سرية في الأستانة، وطاردتهم رجال السلطان عبد الحميد، فنقلوا نشاطهم إلى باريس سالونيك، حيث انضم إلى صفوفهم العديد من يهود الدرونة، وأصبحوا من قيادات الحركة بعد قيامهم بالانقلاب العثماني الشهير عام 1908م وأعلنوا الدستور، وما لبثوا أن نجوا السلطان عن العرش، واشتهر من قادة الحركة طنعت وجاويد وجمال (السفاح) وأتور ونيازي، وانضم إليهم بعض العرب مثل هادي العمري ورفيق وحقي انعظم وياسين الهاشمي وطائب النقيب وعزيز علي المصري وعبد الرحمان الشهبندر وسليم الجزائري، إلا أنهم سرعان ما خابت أمانيهم نتيجة تبني قادة الحركة الأتراك لمبدأ التطورية والتتريك ومعاداة العرب، وقد أنشأت الجمعية فروعاً لها في معظم الولايات العربية، ينظر: عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج 2، دار الهدى، بيروت، (د، ت)، ص 81.

(4) - محمود عبد الواحد محمود، مواهب عدنان أحمد: مرجع سبق ذكره، ص 9.

الفصل الثالث _____ السياسة الخارجية للسلطان عبد الحميد الثاني

الإمبراطورية وفي إسطنبول بشكل خاص، وبدأت الحركة في المدرسة الطبية العسكرية وانتشرت بحذر شديد بين عدد محدود من الطلاب في هذه المدرسة⁽¹⁾.

وصلت أخبار هذه الجمعية ونشاطها مسمع السلطان سنة 1892م، فعمل على نفي بعض أعضائها وسجن آخرين، وهكذا وضع السلطان حد لعمل هذه الجمعية داخل الإمبراطورية في حدود سنة 1897م، فانتقل نشاطها من تلك السنة حتى 1906م إلى خارج الإمبراطورية في باريس وجنيف والقاهرة⁽²⁾، وهنا يبدأ الدور الثاني للجمعية ذلك أن حركة الإتحاد والترقي كانت قوية بالإضافة إلى أن مراقبة السلطان لأعضاء الجمعية قد جاءت في وقت متأخر، الأمر الذي ساعدهم في دفع الأهالي إلى مظاهرات صاخبة في سلانيك وبعض مدن اليونان وصربيا مطالبين بإعادة الدستور⁽³⁾، (ينظر الملحق رقم 3، ص 99).

2- النشاط العسكري للجمعية وعودة العمل بالدستور:

عملت جمعية الإتحاد والترقي إلى تشكيل تنظيمات عسكرية فكانت بادرتها الثورة التي أعلنها مصطفى كمال، هذا الأخير الذي تم اعتقاله بتهمة القيام بنشاط سياسي معاد، وكان رفقة ضباط شباب آخرين، حيث أبعدها إلى الوحدات العسكرية المرابطة في أطراف الإمبراطورية، وكان لهذا أثراً وألماً واضحاً في نفسه، فأنشأ جمعية ثورية اسمها (الوطن)، ثم سافر إلى سالونيك وأسس فيها مراكز أخرى للجمعية، وفي نفس الوقت تأسست في سالونيك جمعية أخرى سميت (الحرية)، وقد تم أخيراً دمجها مع

(1) - أرشنت رامزور: تركيا الفتاة وثورة 1908م، تر: صالح أحمد العلي، نق، مر: نقولا زياده، فونكلين، بيروت، نيويورك، 1960، ص 12.

(2) - محمود عبد الواحد محمود، مواهب عدنان أحمد: مرجع سبق ذكره، ص 181.

(3) - عيسى اسعد العبد الله: مرجع سبق ذكره، ص 124.

الفصل الثالث _____ السياسة الخارجية للسلطان عبد الحميد الثاني

جمعية (الوطن)، وتعاونت هذه الجمعيات الصغيرة مع جمعية "الإتحاد والترقي" المعارضة للحكومة⁽¹⁾، ثم يبدأ الدور الثالث للجمعية حيث انتهى الدستوريون من وضع الخطة في أواخر شهر يونيو سنة 1908م، وفي 21 و 22 و 23 رفض الرائد (أنور بك)⁽²⁾ الامتثال لأمر عسكري بالحضور إلى الأستانة واعتصم بأحد الجبال في مقدونيا ومعه جنوده، ولحق به زميل آخر يدعى (نيازي بك)⁽³⁾، وقام هؤلاء بالسيطرة على مناستروكوسوفا وانضم رجال الفيلقين الثاني والثالث وجنود الأناضول إلى الحركة فوجه أنور بك إنذاراً إلى السلطان عبد الحميد بإعادة العمل بدستور 1876م وهدد الجيش الثالث في سالونيك بالزحف على العاصمة وخلع السلطان في حالة عدم إعلان السلطان عن الدستور وتعيين أخيه مكانه⁽⁴⁾، فلما وصلت هذه التلغرافات إلى السلطان عبد الحميد الثاني أصدر الإرادة الشاهانية بمنح الدستور والقانون الأساسي

(1) - كريم طلال مسير الركابي: مرجع سبق ذكره، ص 149.

(2) - أنور بك (1881-1922م): من قادة الإتحاد والترقي، كان وزير الحربية في الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى عام 1914م، معجب بالعسكرية الألمانية ومن دعاة التطورية - وحدة أترك العالم في دولة - تسبب في هزيمة الدولة في الحرب الأولى، يتبع بشجاعة فائقة، لم يكن من منسوتياً وبذلك كان متميزاً على زميليه طلعت وجمال، وهم يشكلون ثلاثي جمعية الإتحاد والترقي، وأشهر أعلام هذه الجمعية، تأثر بأفكار الكاتب اليهودي العثماني موليز كوهين في الدعوة إلى القومية التركية الشاملة (التطورية)، ينظر: محمد حرب، مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني، مرجع سبق ذكره، ص 273.

(3) - نيازي بك (1873-1914م): هو نيازي بك الرسنة لي، تقي الاتحاديون بنقب بطل الحرية لأنه أول من تمرد عسكرياً على السلطان عبد الحميد، وتحت إمرته 200 شخص، ولد في رسنة (وهي في ألبانيا)، اشترك في الحرب العثمانية اليونانية عام 1897م، فظهر بطونة عسكرية، حارب المتمركين البلقان ثلاث سنوات، تأثر بأفكار نامق كمال وأدياء عهد التنظيمات فيما يتعلق بالفكر السياسي فكان من بين أول من انضم للإتحاد والترقي، وعندما قررت المجموعات العسكرية التابعة لجمعية الإتحاد والترقي التحرك ضد السلطان عبد الحميد كان هو أول من استجاب لأمر بكتيبة رسنة التي يرأسها، لم تكن له رغبة في منصب ولا شهرة بعد نجاح الجمعية في انقلابها، اعتكف في مزارعته في بلدته، توفي قتلًا بسبب شخصي وعمره 39 سنة، ينظر: محمد حرب، نفسه، ص 287-288.

(4) - كريم طلال مسير الركابي: مرجع سبق ذكره، ص 152.

الفصل الثالث _____ السياسة الخارجية للسلطان عبد الحميد الثاني

للدولة العلية وذلك في 24 تموز 1908م⁽¹⁾، وهناك عدة أسباب جعلت من جمعية الإتحاد والترقي تبقي السلطان عبد الحميد على العرش في تلك الفترة تمثلت في:

- 1/ لم تكن في حوزة حزب الإتحاد والترقي القوة الكافية لعزله.
- 2/ إتياع السلطان لسياسة المرونة معهم، وذلك بتتفيذ رغباتهم بإعادة الدستور.
- 3/ ولاء العثمانيين لشخص السلطان عبد الحميد الثاني، وهذه نقطة واضحة حيث أن لجنة الإتحاد والترقي لم تكن لها الجرأة الكافية على نشر دعايتها ضد السلطان بين الجنود لأنّ هؤلاء يبجلون السلطان⁽²⁾، (ينظر الملحق رقم4، ص100).

3- عزل السلطان عبد الحميد الثاني من الحكم:

إنّ الحركة الصهيونية العالمية⁽³⁾ لم تقتصر على الانقلاب الدستوري عام 1908م، بل تعاونت مع جمعية "الإتحاد والترقي" لتحقيق مكاسب أخرى في فلسطين، وعليه كان لا بد من التخلص من السلطان عبد الحميد الثاني نهائياً، ولذلك دبرت أحداث مارت/ أبريل 1909م في إسطنبول، وترتب على إثرها اضطراب كبير قُتل فيه بعض عسكر جمعية الإتحاد والترقي، عرف الحادث في التاريخ باسم حادثة 31 مارت⁽⁴⁾، وقد عدّ الاتحاديون الحركة من تدبير السلطان فنقرر إرسال قوة من سلايك للقضاء

(1) - محمد فريد بك المحامي: مصدر سبق ذكره، ص ص706-707.

(2) - علي محمد محمد الصلابي: الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، مرجع سبق ذكره، ص458.

(3) - أكّد الباحثون والمعاصرون لجمعية الإتحاد والترقي دور اليهود عموماً والدونمة خصوصاً في تاريخ هذه الجمعية منذ نشأتها الأولى حتّى نهايتها وهو الدور الذي امتد إلى تركيا الحديثة، ينظر: سنان صادق جواد، اليهود الدونمة نشأتهم وأثرهم في الدولة العثمانية حتّى عام 1909م، مجلة ديبالي، (د.م)، العدد الخامس والعشرون، 2012، ص39.

(4) - عيسى أسعد العبد الله: مرجع سبق ذكره، ص125.

الفصل الثالث _____ السياسة الخارجية للسلطان عبد الحميد الثاني

على التمرد⁽¹⁾، وعندما وصل جيش الحركة إلى أيا استيفانوس سلمت القيادة إلى محمود شوكت باشا⁽²⁾ حيث أكد هذا القائد للأهالي من أن غاية وهدف هذا الجيش هو تخليص السلطان من أيدي المتمردين⁽³⁾، وعندما وصل جيش الاتحاديون إلى ضواحي إسطنبول في 22 نيسان 1909م، امتنع السلطان عن إصدار الأوامر، تجنباً لقتل المسلم لأخيه المسلم بالإضافة إلى هذا فقد أخذ يميناً وقسماً من ناظم باشا أن لا يشهر سلاح الجيش الأول في وجه قوات الحركة، وهكذا دخل جيش الحركة إلى إسطنبول في 6 رجب/ 25 نيسان وسيطر عليها، وأعلن الأحكام العرفية (حالة الطوارئ)، وبدأت عملية الإعدام حيث تم إعدام الآلاف وفيهم الأبرياء⁽⁴⁾.

وبهذا تم عزل خليفة المسلمين السلطان عبد الحميد الثاني من كل سلطاته المدنية والدينية، ثم وجهت إليه جمعية الإتحاد والترقي التهم التالية⁽⁵⁾:

_ تدبير حادثة 31 مارت

- (1) - محمود عب الواحد محمود، مواهب عدنان أحمد: مرجع سبق ذكره، ص 11.
- (2) - محمود شوكت باشا: (1856-1913): وُلد في بغداد ومات بإسطنبول، قائد تركي ورجل دولة، عربي الأصل، أبوه سليمان فاتق كنتخداوغلو، كان من كبار موظفي ولاية بغداد ومن أشهر المؤرخين البلغاء لحوادث العراق، وولده الأصغر حكمت سليمان سباسي بارز في العهد الملكي في العراق، نُوِي رئاسته الوزراء فيه سنة 1936م، رقي عام 1901م فريق ثانٍ وعندما رقي إلى رتبة فريق أول عام 1905م، عُيِن والياً على ولاية قوصه، وبعد - إعلان المشروطية الثانية عُيِن قائداً لتجيش الثالث وتعاون مع كبار زعماء الإتحاد والترقي، كان مقر قيادته في سلاتيك وعمل تحت إمرته مصطفى كمال أتاتورك كان قائد جيش الحركة الذي تحرك من سلاتيك إلى إسطنبول لعزل السلطان عبد الحميد الثاني، في 11/6/1913م استطاع ثمانية أشخاص اغتيال محمود شوكت، ينظر: محمد حرب، مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني، مصدر سبق ذكره، ص 272-273.
- (3) - بشرى ناصر هاشم الساعدي: 'الفتنة الارتجاجية في الدولة العثمانية عام 1909م، دراسة تاريخية في الأسباب والنتائج'، مجلة الجامعة المستنصرية، كلية الآداب، قسم التاريخ، (د،م)، (د،ع)، (د،ت)، ص 10.
- (4) - أحمد آق كوندوز، سعيد أوزتورك: مرجع سبق ذكره، ص 460.
- (5) - علي محمد محمد الصلابي: الدولة العثمانية عوامل انهووض أسباب السقوط، مرجع سبق ذكره، ص 459.

الفصل الثالث _____ السياسة الخارجية للسلطان عبد الحميد الثاني

_ إخراج المصاحف

_ الإشراف

_ الظلم وسفك الدماء (ينظر الملحق رقم 5، ص 101)

ويعد أن استولت جمعية الإتحاد والترقي على الحكم، اتسمت بصفات واضحة منها⁽¹⁾:

1/_ وجود عدد كبير من الموالين للدول الأوروبية التي لها أطماع ومصالح في الدولة العثمانية.

2/_ بدأت حكومة الاتحاديين تمارس أسلوباً في الحكم لا يقل استبداداً عن السلطان عبد الحميد الثاني بل يفوقه.

3/_ بدأت تعمل على إبعاد العناصر غير التركية من القوميات الأخرى عن مراكز السلطة ولإسما القوميين العرب الذين شاركوها في الانقلاب

4/_ التأييد الواضح للصهيونية ومخططاتهم والسماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين والتغاضي عن بيع الأراضي الحكومية له.

واستمرت الحملات الإعلامية المنظمة تشتهر تشهيراً عنيفاً بالسلطان عبد الحميد الثاني، وقد استهدف أعداء الإسلام من تلك الحملات⁽²⁾:

1/_ الدفاع عن أعضاء الإتحاد والترقي، مبررين تصرفهم في انتهاء حكم السلطان عبد الحميد الثاني كي تسترد الدولة مكانتها.

(1) - غانم أحمد الصايغ: 'دور الحركات القومية في انهيار الدولة العثمانية، الوطن العربي نموذجاً'، مجلة التريية والعلم، المجلد 13، (دم)، العدد 2، 2006، 8.

(2) - عيسى أسعد العبد الله: مرجع سبق ذكره، ص 130.

الفصل الثالث _____ السياسة الخارجية للسلطان عبد الحميد الثاني

2/ تغطية فشل الإتحاد والترقي في حكم الدولة، فقد لجأ رجال الإتحاد والترقي إلى القوة والاستبداد وأثاروا الفرقة بين سكان البلاد.

3/ إبراز صورة مشرقة لعهد الطاغية الملحد مصطفى كمال أتاتورك وأعدائه، وتبرير تصرفات عملاء اليهود والبريطانيون والدول الغربية في إلغاء الخلافة والسلطنة وإعلان الجمهورية التركية.

4/ رغبة الصهاينة في تدمير سيرة السلطان عبد الحميد الثاني انتقاماً منه لسياسته المعادية في فلسطين⁽¹⁾.

لم تكن دهشة الأمة وإعجابها بهذا الانقلاب بأكثر من دهشة سائر الأمم الأخرى، فقد تجاوزت صيحات نيازي وأتور بلاد الدولة العلية إلى مدن أوروبا وغيرها، فالتفتت مذعورة حائرة من هذا المصير العجيب الذي ما كان يخطر لها ببال، ولا يزال الناس فيها وفي غيرها من بلاد الدنيا معجبين بهذا الانقلاب الذي لم يع التاريخ مثله⁽²⁾.

وفي اليوم الذي نقل فيه السلطان عبد الحميد الثاني من القصر، ذهب وفد ينقل لولي العهد رشاد خبر تعيينه سلطاناً فلم يصدق⁽³⁾، وتم في يوم 27 أبريل سنة 1909م تتويج السلطان رشاد باسم السلطان محمد الخامس⁽⁴⁾، وقد السلطان الجديد الديمقراطي سيف آل عثمان في جامع أيوب في القرن الذهبي⁽⁵⁾.

(1) - عيسى أسعد العبد الله: مرجع سبق ذكره، ص 130.

(2) - روجي الخائدي: مرجع سبق ذكره، ص 9.

(3) - ماري ملز باتريك: مصدر سبق ذكره، ص 145.

(4) - محمد فريد بك المحامي: مصدر سبق ذكره، ص 708.

(5) - ماري ملز باتريك: المصدر السابق، ص 145.

الفصل الثالث ————— السياسة الخارجية للسلطان عبد الحميد الثاني

استنتاج:

تمثلت السياسة الخارجية للسلطان عبد الحميد الثاني في التصدي لموجة الاستعمار التي جمعت بين أطماع الدول الأوروبية في ممتلكات الدولة العثمانية و رغبة الحركة الصهيونية في امتلاك وتهويد فلسطين، ولهذا سعى السلطان عبد الحميد جاهداً في إنجاح فكرة الجامعة الإسلامية التي كانت تهدف إلى توحيد مسلمي العالم تحت خلافته والعمل بالشريعة الإسلامية، وذلك من أجل مواجهة سياسة هذه القوى الأوروبية.

في الوقت التي أظهرت فيه الصهيونية العالمية عداوتها للسلطان ظهرت نقمة يهود الدولة العثمانية عليه أيضاً، واتفقوا على حتمية إنهاء حكمه حتى تتيح لهم فرصة لتحقيق مآربهم، ولهذا توغلوا في الجمعيات التي كانت تسعى إلى الإطاحة بحكم السلطان، ومن أشهرهم جمعية الإتحاد والترقي ونجحوا في خلع السلطان من عرش الدولة العثمانية ونفيه إلى سلانيك والمجيء بأخيه محمد الخامس ليتربع على عرش السلطنة العثمانية.

خاتمة

خاتمة

حمل عهد السلطان عبد الحميد الثاني بين ثناياه الكثير من الأحداث المهمة التي تستحق الوقوف عندها، نظراً لما خلفته من آثار مست العالم العربي والإسلامي والأوروبي، وفي محصلة الدراسة على المؤرخ المنصف أن يأخذ ظروف الدولة العثمانية بالحسبان عند تقييمه لموقف السلطان وتوجهاته السياسية، مراعيًا في ذلك التحديات الخطيرة التي كانت تواجهها الدولة سياسياً واقتصادياً قبيل توليه وأثناء ولايته، والتي كانت إرثاً ثقيلاً ورثه عن أسلافه.

اعتلى السلطان عبد الحميد الثاني عرش الإمبراطورية العثمانية بناءً على شروط فرضها رجال الأحرار وعلى رأسهم مدحت باشا وفي مقدمتها الإعلان عن القانون الأساسي أو ما عرف بالمشروطية أو الدستور الذي كان مقتبساً من دساتير الدول الغربية، متجاهلين بذلك أن الإمبراطورية العثمانية كواحدة ربما من أشد الإمبراطوريات تعقيداً في بنيتها لاختلاف أديانها وتنوعها العرقي والطائفي.

تأكد السلطان من أن العمل بدستور 1876م لا يجدي نفعاً في ظل الظروف المحيطة بالدولة واقتناعه بضرره على الدولة أكبر من نفعه، ولهذا قام بتعليق العمل به وشرع في إصلاح الدولة وفق ما يتناسب ويجازي الواقع الداخلي وطبيعة المجتمع العثماني الإسلامي.

شمل موضوع الإصلاح الذي قام به السلطان عبد الحميد الثاني مختلف ميادين الحياة من مدارس ومعاهد عليا، حيث قام بتشجيع التعليم إذ أصبحت المدارس في عهده أضعاف ما كانت عليه في العهود التي سبقت، بالإضافة أنه طوّر القضاء وقام بتنظيمه، وفي إطار الصحة بنى مستشفيات ومدارس متخصصة في دراسة الطب، هذا فضلاً

خاتمة

عن الجانب العسكري إذ عهد بتدريب الجنود العثمانيين لدى خبراء من الألمان وخصص مدارس عسكرية لهذا الغرض .

شهد عهده قيام دول البلقان بحركات انفصالية عن الدولة بإيعاز وتحريض من روسيا ، فنشبت حرب لم تكن الدولة جاهزة لخوضها، فجاءت النتائج وخيمة إذ انهزمت الدولة العلية وتنازلت عن بعض ولاياتها، وكان هذا بمثابة إيذاناً لنشوب معركة أخرى مع الأرمين الذين استندوا على الدول الأوروبية ورفعوا مطالبهم وتمردوا على السلطان الأمر الذي أوجب حصول مذابح في كلا الطرفين .

على المستوى الخارجي لم يتمكن السلطان من الوقوف ومعالجة مشروع المسألة الشرقية وهي في أشد مراحلها، وخاصة في ظل بداية ظهور توافقات وتنازلات فيما بين الدول الأوروبية حول تقسيم تركة الرجل المريض، دون مراعاة بذلك لموقف الدولة العلية من المسألة.

ظهور الحركة الصهيونية العالمية ومشروع إقامة دولة يهودية وإلحاح دعائها لإقناع السلطان عبد الحميد الثاني من أجل إعطائهم الأراضي الفلسطينية لإقامة الوطن المنشود، إلا أن الموقف الذي وقفه السلطان عبد الحميد اتجاه أطماعهم والصمود الذي أبداه أمام جميع المحاولات التي بذلها زعماء الحركة كافيان في نظر الباحث لتتمين دور السلطان في الحفاظ على وحدة الأراضي الإسلامية، وعدم التفريط في شبر واحد منها رغم الظروف السيئة التي كانت تعاني منها الدولة إبان تلك الفترة، إذ يعتبر هذا الموقف مثلاً لمؤرخي القضية الفلسطينية.

تبنى السلطان مشروع فكرة الجامعة الإسلامية كأسلوب سياسي ديني من أجل دعم أواصر الأخوة بين مسلمي العالم، وحتى تستطيع الأمة الإسلامية من أن تقف في وجه الغزو الاستعماري، وذلك من خلال اعتماد أسلوب الاستقطاب للدعاة وشيوخ الطرق

خاتمة

الصوفية والعمل على تعريب الدولة وإقامة الشعائر، وإقامة خط سكة حديد الحجاز، أي أنه أراد بناء إمبراطورية إسلامية تحت شعار "يا مسلمي العالم اتحدوا".

برهنت توجهات السلطان عبد الحميد الثاني السياسية والمعادية لأطماع الدول الأوروبية والحركة الصهيونية من استحالة تحقيق أمني أعداء الدولة إذا ما بقي هذا السلطان على العرش، لهذا تحالفت الماسونية مع حركة الإتحاد والترقي، واتخذوا من باريس وسالونيك مركزاً لهذا التحالف ونجحوا في خلعه.

حققت جمعية الإتحاد والترقي جملة من النجاحات والأهداف المؤقتة وهي الإطاحة بالسلطان عبد الحميد وإعلان عن الحياة الدستورية المقتبسة من الأفكار الغربية، رافعة شعار الثورة الفرنسية (الحرية_الإخاء_المساواة)، إلا أنهم وبعد سنوات من الانقلاب الكبير اكتشفوا أنفسهم بأنهم كانوا وسيلة استخدمها رجال الماسونية لتحقيق مآربهم عندما وجدوا فلسطين في طريقها إلى التهويد واقترب السقوط الحتمي للخلافة، هنا تيقنوا وتفهموا المناورات السياسية التي قام بها السلطان عبد الحميد والتي حاربت لها الأذهان من أجل إبقاء الإمبراطورية صامدة وقدرته على إيصالها إلى الربع الأول من القرن العشرين.

الملاحق

الملحق رقم (01): عبد الحميد الثاني في صور¹

عبد الحميد الثاني في صور



الأمير عبد الحميد أفندي ولي العهد



عبد الحميد الثاني في شبابه



عبد الحميد الثاني في طفولته



عبد الحميد الثاني في شبابه



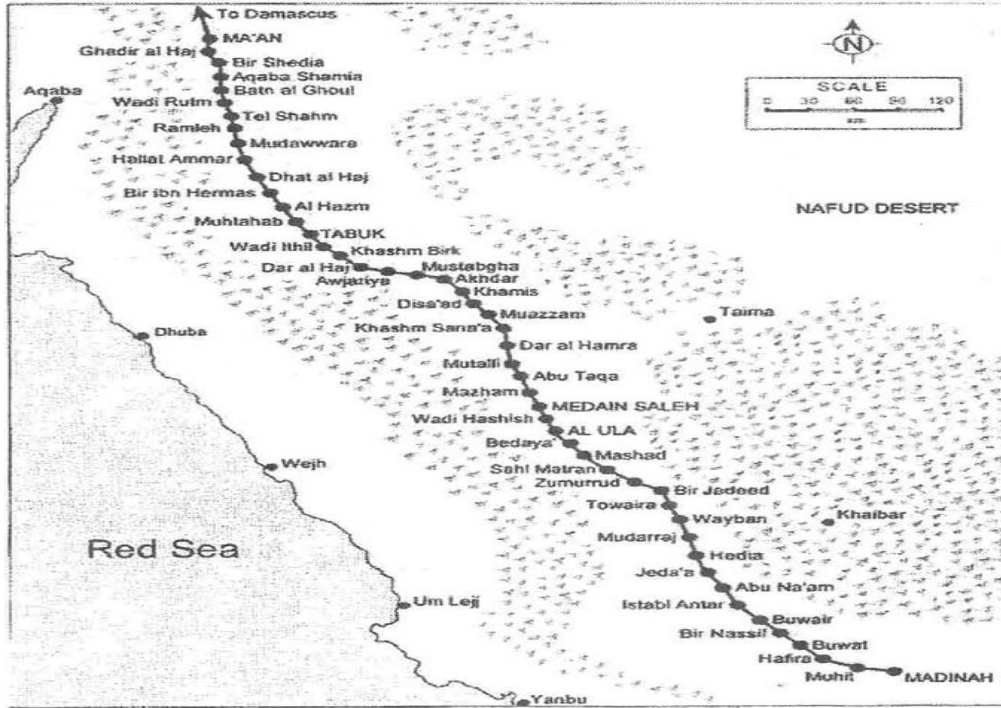
عبد الحميد الثاني في كهولته



السلطان عبد الحميد الثاني بعد توليه الخلافة

1- موفق بين مرجعة: مرجع سبق ذكره، ص 63.

الملحق رقم (02): خريطة توضح محطات الخط الحديدي الحجازي من مدينة دمشق الى المدينة المنورة¹



1- سيف الله الأرباجي: مرجع سبق ذكره، ص 42

2- صالح كولن: مرجع سبق ذكره، ص 315.

الملحق رقم(03):يظهر الرسم شعار جمعية الإتحاد والترقي _ معنوناً بعبارة
بادشاه جوق يشا أي عاش مولانا السلطان_ نفسه شعار الماسونية¹

تَارِكْنَا هَسْبَ الْجَوْرِ دَيْشِنَا
خَيْرِيَّتْ مُسَاوَاتْ الْخَيْرِيَّتْ



1- حسان علي حلاق: دور اليهود والغوي الدولية في خلع السلطان عبد الحميد الثاني من العرش. 1908_1909م،
مرجع سبق ذكره، ص 122.

الملحق (04): بلاغات عن الانقلاب ضد السلطان عبد الحميد الثاني¹

h

إلى ولاية حلب من الصدر الأعظم توفيق.

سار فيلق الحركة تحت قيادة حضرة محمود باشا قائد الفيلق الثالث وفيلق الحركة مساء يوم الجمعة من اياستفانوس وأشغل أولا القشل الكائنة في دار السعادة ودخل يوم السبت صباحا الاستاذة بكل انتظام الا ان بعض المحلات تشبثت بالمقاومة وذلك بسبب سوء التظهم ثم بنتيجة المقاومة وبعد ان حصل من الطرفين طلاقات جزئية واستؤمنت والله الحمد، ولما عموم المواقع العسكرية الموجودة داخل البلدة فقد ضبطت من طرف فيلق الحركة واعتني باعادة الامن والسكون وحسن عافظتهما فالامن والسكون سائدان بهذا اليوم. ولم يقع عطل أو ضرر نلاهاهي مالا او بدنا أصلا بيد ان الشائعات الدائرة بحق جلالة السلطان لا اساس لها كليا. وقد أخذت أركان العسكرية بتأمين أفكار ونيات فيلق حركة لقاء مقام السلطنة العظمى ولما جلس المعونان الذي كان يجتمع في اياستفانوس منذ ثلاثة اربعة ايام فسيدي بهذا اليوم للاجتماع واجراء المذكرات في دقته المخصوصة باستامبول، فلنكن ايجابية معلومة معاليكم على هذه الصورة ونوصيكم بايضاء التبليغات والرحمة لمحلية الواجبة في مثل هذه الاوقات.

في ١٢ نيسان ٣٢٥

الصدر الأعظم

توفيق

إلى ولاية حلب من قائد الفيلق الثالث محمود شوكت.

كنا ذكرنا ان الافراد المعاصية من العساكر الموجودة في عموم القشل والمخافر الكائنة في جهات استامبول وبك أوغلي قد سلمت سلاحها نهار أمس الا العساكر الموجودة في قشلة السليمية لم تسلم سلاحها ولكن بهذا اليوم سلمت العساكر الموجودة في قشلة السليمية المذكورة سلاحها بدون ترك مجال لاستعماله. بناء عليه صار اشغال سائر جهات استامبول بعساكر الفيلقين الثاني والثالث المطبعة واللحبة للمشروطة وقد أعلنت الادارة العرفية بهذا اليوم في استامبول والبلاد الثلاثة وحصلت الموافقة بتأمين وتأسيس الانضباط والسكون ومحافظة المال والارواح على الوجه اللائق وقد بلغنا رئاسة المجلس العمومي ليلي الذي اجتمع اليوم في اياستفانوس انه لم يبق مانع لاجتماعه في محله المخصوص وعليه يجتمع المجلس في محله الخاص به اعتبارا من نهار الغد فصار المعلومات.

في ١٢ نيسان ٣٢٥

قائد الفيلق الثالث

محمود شوكت

إلى ولاية حلب من ناظر الداخلية رؤوف.

ان الامنية والسكون التام سائدان هنا، الا انه تقرر لدى مجلس اوكلاء لزوم اعلان الادارة العرفية في دار لسعادة وملحقاتها وجناله وازمير عن مدة مؤقتة احتياطيا، ولدى الاستاذان صدرت لادارة السنية السلطانية آداة فنبلفكم ذلك وبازم ان تبدلوا مساعيكم بخصوص وقاية الازهان العمومية من الفيح وتأمين السكون العام أيضا.

في ١٣ نيسان سنة ٣٢٥

ناظر الداخلية

رؤوف

1- موفق بن مرجة: مرجع سبق ذكره، ص 411.

الملحق رقم (05): فتوى خلع السلطان عبد الحميد الثاني¹

في يوم الثلاثاء السابع والعشرين من شهر نيسان عام ١٩٠٩م اجتمع ٢٤٠ عضوا من مجلس الاعيان في جلسة مشتركة وقرروا بالانفاق خلع السلطان عبدالحميد الثاني وكتب مسودة الفتوى الشيخ النائب حدي افندي المالي لكن أمين الفتوى نوري افندي الذي دعي للاجتماع رفض هذه المسودة وهدد بالاستقالة من منصبه ان لم يجر تعديل عليها وأيده في التعديل عدد من أنصاره من النواب فعدل القسم الاخير على أن يقرر مجلس المبعوثان عرض التنازل عن العرش أو خلعهم .

واليكتم نص الفتوى ذات الوجهين الموقع من قبل شيخ الاسلام محمد ضياء الدين افندي ووافق عليها مجلس المبعوثان بالاجماع ..

« اذا قام امام المسلمين زيد فجعل ديدنه طي واخراج للسائل الشرعية المهمة من الكتب الشرعية وجمع الكتب المذكورة والتبذير والاسراف من بيت اناك واتفاقية خلاف الموسوعات الشرعية وقتل وحبس وتغريب الرعية بلا سبب شرعي وسائر المظالم الأخرى ثم اقسام على الرجوع عن غيه ثم عاد فحدث وأصر على احداث فتنة ليخل بها وضع المسلمين كافة فورد من المسلمين من كافة الاقطار الاسلامية بالتكرار ما يشعر باعتراف زيد هذا مخلوعا فلوحظ ان في بقاءه ضررا محققا وفي زوانه صلاحا فهل يجب على أهل الخلق والعقد وأولياء الأمور أن يرضوا على زيد المذكور التنازل عن الخلافة والسلطنة أو خلعهم من قبهم . الجواب: نعم يجب .

كتبه الفقير السيد محمد ضياء الدين عفا الله عنه . (٢)

التوقيع
شيخ الاسلام
محمد ضياء الدين افندي

1- موفق بن مرجة: مرجع سبق ذكره، ص 410.

الملحق رقم(06): رسالة السلطان عبد الحميد الثاني من سلانيك الى الشيخ محمود ابو الشامات في دمشق يؤكد فيها أن سبب خلعها عن العرش انما لرفضه الموافقة على انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين.¹

يا هو

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين .

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد
رسول رب العالمين وعلى آله وصحبه أجمعين أو التابعين الى يوم الدين .
اشبه عريضة من طريقت عليه شاذليه شخني وجوده روح وجياة
ويرن وحمدك افندي بولان الشيخ محمود افندي ابو الشامات حضرتك
رفع ايديوزم مبارك اللهي او برك و دعا لري رجا ايدرك سلام
و حرم قلري تقديم نكركه عرض ايدرك . سندن حاله شهر مايبك ، الكني
كوفي تاريخي مكتوبي واصل اولدي صححت وسلامته وانتم اولدي قازون دولاي
اسم حمد وشكر لرايدم . افندم اورا وشاذليه قراءته و رطب سنادليه
اللهك توفيقه كينه وكوندور دوام ايديوزم و بوطه لري اوايه موفق
اولدي نغزل دولاي اسم نعال حضرتك رينه حمد ايدرم و دعوات قلبيه كزه انما
محتاج اولدي غمي عرض ايلرم . بومقدمه دن صكره ستوهم سنلزي ذات
رشا دينا هيلرينه ذات ساحتينا هيلرينه اشال عقول سايله صاجلرينه
تاريخي برامانت اولارق عرض ايدركم . بن خلافت اسلاميه لي هيچ برسندرك
ايتيم دم . انجق وانجق (جون ترك) اسيله معروف ومشهور اولان
اتحاد جمعيتك رؤسائك تفهيم و تهديدي ايله خلافت اسلاميه لي تركيه
مجمور ايدلرم . بواتحاد جيلير اراضئ مقدسه ده نلسطينده يهو ديلر
ايچون بروطن قومي تاسيسي قبول و تصديق ايتكلكم ايچون اسم ارلزنده
دوام برامان رينه و تهديدي لري . برامان نطقيا بو تكليف قبول ايدم
وبلاخره يوزاللي مليون التون انكليز لبراني ويره جكري و هدايتلر

1- حسان علي حلاق: دور اليهود والقوى الدولية في خلع السلطان عبد الحميد الثاني من العرش: 1908_1909م،

مرجع سبق ذكره، ص 117.

بوتکلیفی و بی قطعیاً رد ایتیم و کنهیر نی شو سوز لرمله مقابله ده
 بولندم . دکل . ۱۰۰ لیلون اتون انکلیز لیراسی دنیا و لوسی
 اتون ویرسه کز بوتکلیفکیزی قطعیاً قبول ایتیم م . بن اوتوز سز دن
 فضل بر مدته ملت اسلامیه بر و امت محمدیه بر خدمت ایتیم بوتون
 مسلمانان و سلاطین و خلفاء عثمانیه دن آباد و اجداد ملک صحیفه لر نی
 قرار تمام . بنا علیه بوتکلیفکیزی مطلقاً قبول ایتیم دیر قطعی جواب
 ویرد کد نصره خلعه اتفاق ایتدیم و بی سلا نیکه کوندره جکلر نی بیلور دیر
 بوصول تکلیف لر نی قبول ایتیم . و بعد تعالی بر حمد ایتدیمکده و ایدر مکده دولت
 عثمانیه بی و بوتون عالم اسلامی ابدی بر لکه اولاحقه اولان تکلیف لر نی یعنی
 اراضی مقدسه ده فلسطینه یهودی دولتی قورلسنی قبول ایتیم دم . ایشته
 بوندن صکره اولان اولدی و بوندن دولاییده مولای مستعال حضرت مکر نی حمد ایدرم
 بومهم مسئله ده شرمعروضام کافیدیر و شو سوز لرمله مکتوبه ختام ویر یورم .
 مبارک اللریکیزی اوپرک حرمتلری قبول یور مکرزی سز دن رجا و ستر حام ایدرم
 اخوان و اصدقانت جمله سز سلا مکر ایدرم . ای هم معظم استاذم . بوباده سوزی
 اوز ایدم محاط علم عالی سماحتنا هیلری و بوتون جماعتکرن معلومی
 اولمق ایچون اوز اتمغه مجبور اولدم والسلام علیکم ورحمة الله وبرکاته

خادم المسلمین
 محمد علی پاشا

عبد الحمید

1- حسان علي حلاق: دور اليهود والغوى الدولية في خلع السلطان عبد الحميد الثاني من العرش. 1908_1909م،

مرجع سبق ذكره، ص 117.

قائمة البييلو غرافيا

قائمة المصادر المراجع

قائمة المصادر والمراجع

I - المصادر

1 - الكتب

1. أصافعزتلو يوسف بك: تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن، كلمات للترجمة والنشر، القاهرة، مصر، (د، ت).
2. أورخان محمد علي: السلطان عبد الحميد الثاني حياته وأحداث عهده، ط 1، إسطنبول، 2008، ص ص 51-52.
3. باتريك ماري ملز: سلاطين بني عثمان صفحات من تاريخ تركيا الاجتماعي والسياسي والإسلامي، ط 1، مؤسسة عز الدين للطباعة و النشر، لبنان، 1986.
4. بروكلمان كارل: تاريخ الشعوب الإسلامية، تر: نبيه أمين فارس ومدير البعلبكي، ط 5، دار العلم للملايين، بيروت، 1968.
5. البستاني سليمان ، الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده، مؤسسة هنداوي، مصر، 2014.
6. تيودور هرتزل: الدولة اليهودية، تر: محمد فاضل، ط 1، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2007.
7. حلیم إبراهيم بك، تاريخ الدولة العثمانية المعروف بكتاب التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية، ط 1، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، 1988.
8. رامزور أرنست: تركيا الفتاة وثورة 1908م، تر: صالح أحمد العلي، تق، مر: نقولا زياده، فونكلين، بيروت، نيويورك، 1960.
9. ساسون عزرا سمويل، تاريخ مدحت باشا وجمعية الإتحاد والترقي العثمانية ، مطبعة جرجي غرزوزي، الإسكندرية، 1910.
10. الكامل مصطفى ، المسألة الشرقية، مؤسسة هنداوي، القاهرة، مصر، 2014.

قائمة المصادر المراجع

11. كوبريلي محمد فواد ، قيام الدولة العثمانية، جزوب معين التاريخ لأهل التاريخ، تر: أحمد السعيد سليمان، تق: أحمد عزت عبد الكريم، المؤسسة المصرية العامة، مصر، 1967.
12. لوتسكي: تاريخ الأقطار العربية الحديث، ط 9، دار الفرابي، بيروت، لبنان، 2007.
13. المالكي إبراهيم بن عامر بن علي العبيدلي، قلائد العصيان في مفاخر دولة آل عثمان، صاحب جريدة شمس الحقيقة، مصر، 1317هـ.
14. المحامي محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تح: إحسان حقي، ط 1، دار النفائس، لبنان، 1981.

- المذكرات الشخصية

1. تيودور هرتزل: يوميات هرتزل، إعداد: أنيس صايغ، تر: هدا شعبان صايغ، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، لبنان.
2. السلطان عبد الحميد الثاني: مذكراتي السياسة، تر: محمد حرب، ط 2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1979
3. عثمان أوغلي عائشة: والدي السلطان عبد الحميد الثاني، تر: صالح سعداوي صالح، ط 1، دار البشير، الأردن، 1991.
4. مدحت باشا: مذكرات مدحت باشا: تع: يوسف كمال بك حناته، ط 1، مطبعة هندية، مصر، (د، ت).

قائمة المصادر المراجع

II - المراجع

1- الكتب

1. الأرباجي سيف الله: السلطان عبد الحميد الثاني مشاريعه الإصلاحية وإنجازاته الحضارية، تر: عبير سليمان، ط1، دار النيل، القاهرة، 2011.
2. أرمغان مصطفى: السلطان عبد الحميد والرقص مع الذئاب، تر: مصطفى حمزة، ط1، الدار العربية، لبنان، 2012.
3. الإسكندري عمر ، حسن سليم، تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الحاضر، مر: أ.ج. سفندج، مؤسسة الهنداوي، القاهرة، مصر، 2012.
4. آل زلفة محمد بن عبد الله، الإصلاحات العمرانية في الولايات العربية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني على ضوء الوثائق والصور الفوتوغرافية، ط 1، دار بلاد العرب، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2012.
5. إنالجيكليل، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء على الانحدار، تر: محمد م. الأرنؤوط، ط1، الدار الإسلامي، لبنان، 2002.
6. أوزتونايلماز: تاريخ الدولة العثمانية ج 2، تر: عدنان محمود سلمان، مراجعة وتقيق: محمود الأنصاري، ط1، شركة الهلال، إسطنبول، 1990.
7. أوزتونايلماز: تاريخ الدولة العثمانية، ج1، تر: عدنان محمود سلمان، مؤسسة فيصل للتمويل، إسطنبول، تركيا، 1988.
8. أوزدمير حسين ، فلسطين في العهد العثماني وصرخة السلطان عبد الحميد الثاني، تر: وليد عبد الله القط، ط1، دار النيل، القاهرة، مصر، 2013.
9. أوغلي يوسف حلاج، تهجير الأرمن 1914-1918م(الوثائق والحقيقة)، تر: أورخان محمد علي ، ط1، منتدى سور الأزركية، بيروت، لبنان، 2010.

قائمة المصادر المراجع

10. بني مرجة موفق؛ صحوة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية، مؤسسة صقر الخليج، مطابع دار الكويت للصحافة "الأنباء"، الكويت، 1984.
11. بيضون جميل وآخرون، تاريخ العرب الحديث، ط1، دار الأمل، الأردن، 1991.
12. جلال يحي، المدخل إلى تاريخ العالم العربي الحديث، دار المعارف، مصر، 1965.
13. الجمل شوقي عطا الله ، إبراهيم عبد الله عبد الرازق، تاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة، المكتب المصري، القاهرة، 2000.
14. الجندي أنور؛ تصحيح أكبر خطأ في تاريخ الإسلام الحديث، السلطان عبد الحميد والخلافة الإسلامية، ط1، دار ابن زيدون، بيروت لبنان، دار الكتب السلفية، القاهرة، 1407هـ.
15. الجهماني يوسف إبراهيم؛ تركيا والأرمن، ط1، دار حوران، دمشق، 2001.
16. حرب محمد؛ السلطان عبد الحميد الثاني آخر السلاطين العثمانيين الكبار، ط1، دار القلم، دمشق، 1990.
17. حرب محمد : العثمانيون في التاريخ والحضارة، رئيس المركز المصري للدراسات العثمانية، القاهرة، 1994.
18. حرب محمد؛ مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني، تر، تق؛ محمد حرب، ط3، دار القلم، دمشق، 1991.
19. حسن محمد خليفة ،الصهيونية، طبيعتها وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي، ط 1، دار المعارف، القاهرة، 1981.
20. حسون علي، العثمانيون والبلقان، ط2، المكتب الإسلامي، بيروت، 1986.
21. حسون علي، العثمانيون والروس، ط1، المكتب الإسلامي، لبنان، 1982.

قائمة المصادر المراجع

22. حلاق حسان علي ، دور اليهود والقوى الدولية في خلع السلطان عبد الحميد الثاني من العرش 1908_1909م، الدار الجامعية، بيروت، (د، ت).
23. حلاق حسان علي ، موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية 1897_1909م، دار الأحد، بيروت، 1978.
24. حلمي مصطفى، الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية، ط 1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2004.
25. حنا منصور تقيّة ، الأرمن والدولة العثمانية، ط1، دار النهضة، بيروت، لبنان، 2016.
26. الخالدي روعي ، الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة، أصدق تاريخ لأعظم انقلاب، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2013.
27. الخرباشي سليمان بن صالح، كيف سقطت الدولة العثمانية، ط 1، دار القاسم، الرياض، 1420هـ.
28. الدقن السيد محمد، دراسات في تاريخ الدولة العثمانية، جامعة الأزهر ، مصر، (د، ت).
29. زيدان جرجي ، تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، ج 1، كلمات هنداوي، القاهرة، مصر، 2012.
30. الزيدي مفيد، العصر العثماني، دار أسامة، الأردن، 2009.
31. سنو عبد الرؤوف ، النزاعات الكيانية الإسلامية في الدولة العثمانية 1877-1881م(بلاد الشام، الحجاز، كردستان، ألبانيا)، ط 1، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1998.
32. الشيخ رأفت غنيم : تاريخ العرب المعاصر، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، (د، م).

قائمة المصادر المراجع

33. الشيخ رأفت غنيم: التاريخ المعاصر للأمة العربية الإسلامية، ط 1، دار الثقافة، القاهرة، 1992.
34. الصلابي علي محمد محمد: الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ط 1، دار البيارق، مصر، 2001. عبد الرازق محمد حسن بركات، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000.
35. الصلابي علي محمد، السلطان عبد الحميد الثاني وفكرة الجامعة الإسلامية، وأسباب زوال الخلافة العثمانية، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 2012.
36. الصميدعي زياد حمد ، جمال الدين فالح الكيلاني: تاريخ الدولة العثمانية رجال وحوادث، ط1، المنظمة المغربية، المغرب، 2013.
37. طقوش محمد سهيل: تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، ط3، دار النفائس، بيروت، لبنان، 2013.
38. عبد الرحيم مصطفى أحمد ، في أصول التاريخ العثماني، ط 2، دار الشروق، القاهرة، بيروت، 1993.
39. عثمان فارس، الكرد والأرمن العلاقات التاريخية، ط 2، منتدى اقرأ الثقافي، كردستان، العراق، 2008.
40. العزاوي قيس جواد، الدولة العثمانية قراءة جديدة لعوامل الانحطاط، ط 2، الدار العربية للعلوم، (د، م)، 2003.
41. عمر عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي 1516-1966، دار النهضة العربية، بيروت، (د، ت).
42. عوف أحمد، أحوال مصر من عصر لعصر، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، (د، ت). ياغي إسماعيل أحمد ، تاريخ العالم العربي المعاصر، ط 1، مكتبة العبيكان، الرياض، 2000.

قائمة المصادر المراجع

43. الفلاحة محمد خير، الخلافة العثمانية من المهد إلى اللحد، (د، ن)، (د، م)، 2005.
44. فهمي عبد السلام عبد العزيز، السلطان محمد الفاتح، فاتح القسطنطينية وقاهر الروم (833_886هـ/1429_1481م)، ط5، دار القلم، دمشق، 1993.
45. كولن صالح، سلاطين الدولة العثمانية، تر: منى جمال الدين، دار النيل، مصر، (د، ت).
46. كوندز أحمد آق، أوزتورك سعيد: الدولة العثمانية المجهولة، 303 سؤال وجواب توضح حقائق غائبة عن الدولة العثمانية، وقف البحوث العثمانية، إسطنبول، 2008.
47. لبن علي أحمد وآخرون: أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ الدولة العثمانية 699-1343هـ/1299-1924م، ج2، دار الوفاء، المنصورة، مصر، 1995.
48. مانتران روبيير، تاريخ الدولة العثمانية، ج2، تر: بشير السباعي، ط1، دار الفكر، القاهرة، 1993.
49. المحافظة علي، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة 1798_1914م، الاتجاهات الدينية والسياسية والاجتماعية والعلمية، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1987.
50. محمد جمال عبد الهادي وآخرون، تاريخ الأمة الواحدة، صفحات من تاريخ الدولة العثمانية(699-1343هـ/1299-1924م)، دار التوزيع والنشر الإسلامية، (د، م)، (د، ت).
51. معاليقيمنتر، معالم الفكر العربي في عصر النهضة العربية، تق: ياسين الأيوبي، دار اقرأ، بيروت، لبنان، 1986.
52. النتشة رفيق الشاكر: عبد الحميد الثاني وفلسطين، ط3، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، 1991.
53. النعيمي أحمد نوري، اليهود والدولة العثمانية، ط1، دار البشير، الأردن، 1996.

قائمة المصادر المراجع

54. نياز ملا محمد قربان: السلطان عبد الحميد الثاني وأثره في نشر الدعوة الإسلامية، ط1، مكتبة المنارة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1988.
55. هندي هاني، الحركة القومية العربية في القرن العشرين، دراسة سياسية، ط 2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2015.
56. هولكو متين، الخط الحديدي الحجازي، المشروع العملاق للسلطان عبد الحميد الثاني، تر: محمد صواش، ط1، دار النيل، القاهرة، 2011.
57. ياغي إسماعيل أحمد: الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، ط 2، مكتبة العبيكان، 1998.

2- الرسائل والأطروحات

1. العبد الله عيسى أسعد، "السياسة الخارجية للدولة العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني 1876_1909م"، مقدمة كجزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة بيروت العربية، 2016.

3- المجلات والدوريات

1. أوغلو مصطفى طلعت قاطرجي، "الخصوصيات الأساسية للفكر الإسلامي"، مجلة حراء، (د، م)، العدد السادس عشر، 2009.
2. بشرى ناصر هاشم الساعدي، "الفتنة الارتجاعية في الدولة العثمانية عام 1909م، دراسة تاريخية في الأسباب والنتائج"، مجلة الجامعة المستنصرية، كلية الآداب، قسم التاريخ، (د، م)، (د، ع)، (د، ت).
3. الحميد عبد اللطيف بن محمد، "وثائق سكة حديد الحجاز في الأرشيف العثماني، دار الملك عبد العزيز"، (د، م)، (د، ع)، (د، ت).

قائمة المصادر المراجع

4. الزكابيكريم طلال مسير ، "ثورة الاتحاديين في تركيا 1908م"، مجلة كلية التربية الأساسية،(د،م)، العدد التاسع الأربعون، 2006.
5. سنان صادق جواد، "يهود الدونمة نشأتهم وأثرهم في الدولة العثمانية حتى عام 1909م"، مجلة ديالى، (د،م)، العدد الخامس والعشرون، 2012.
6. سنو عبد الرؤوف،"السلطان عبد الحميد الثاني والعرب، الجامعة الإسلامية وأثرها في احتواء القومية العربية"، حوار العرب ، بيروت ، العدد4، 2005.
7. الصايغ غانم أحمد ،"دور الحركات القومية في انهيار الدولة العثمانية ، الوطن العربي نموذجاً"، مجلة التربية والعلم، المجلد13،(د،م)، العدد2، 2006.
8. صلاح حسن العاوور، السلطان عبد الحميد الثاني وموقفه من أطماع اليهود في القدس،(د،م)،(د،ع)،(د،ت).
9. ظاهر مشعل مفرح ،الأرمن في عهد السلطان عبد الحميد الثاني (1876-1908م)، جامعة البصرة، كلية الآداب، قسم التاريخ.
10. عامر محمود ، المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية، مجلة دراسات تاريخية، العددان:117،118، دمشق، 2013.
11. عبد الله نزار علوان ، "سكة حديد الحجاز وأشراف مكة المكرمة(1900_1914م) رؤية تاريخية لمراحل البناء والموقف المعارض(سكة حديد الحجاز، الفكرة والبناء، الموقف المعارض)"، قسم التاريخ، كلية التربية، الجامعة المستنصرية.
12. العلوي محمد جمال الدين ، الصايغ بان غانم ، "المسألة الأرمنية وموقف الغرب منها خلال حكم السلطان عبد الحميد الثاني (1876-1909م)، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد(12)، العدد(1)، 2012.

قائمة المصادر المراجع

13. كوثر انبوجيه، "التنظيمات العثمانية والدستور: بواكير الفكر الدستوري نصاً وتطبيقاً ومفهوماً"، مجلة تبين، العدد3، 2012.

14. محمود محمود عبد الواحد ، مواهب عدنان أحمد: "موقف السلطان عبد الحميد الثاني من الحركة الصهيونية، ثوابت مبدئية في عصر ضعف مؤسسات الدولة العثمانية"، مجلة جامعة تكريت للعلوم، مجلد18، العراق، العدد8، 2011.


4- الموسوعات والمعاجم

1. صابان سهيل ، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000.

2. الكيالي عبد الوهاب ، موسوعة السياسة، ج2، دار الهدى، بيروت، (د، ت).

3. الكيالي عبد الوهاب ، موسوعة السياسة، ج7، المؤسسة العربية، بيروت، 1994.

4. موستراس. س.م: المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية، تر: عصام محمد الشحادات، ط1، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 2002.



فهرس المكنوبات

ص	العنوان
	شكر
	إهداء
	قائمة المختصرات
أ-هـ	مقدمة
الفصل التمهيدي: الدولة العثمانية من التأسيس إلى العهد الحميدي	
9-7	1. تأسيس الدولة العثمانية
11-9	2. فتح القسطنطينية على يد محمد الفاتح 1453م
12-11	3. العصر الذهبي للدولة العثمانية في عهد سليمان القانوني
14-12	4. بداية ضعف الدولة العثمانية وظهور المسألة الشرقية وعهد التنظيمات
الفصل الأول: لمحة عن شخصية السلطان عبد الحميد الثاني.	
24-17	المبحث الأول: المولد و النشأة
28-24	المبحث الثاني: منهج تفكيره
34-28	المبحث الثالث: السلطان عبد الحميد يعتلي العرش
الفصل الثاني: السياسة الداخلية للسلطان عبد الحميد الثاني	
42-37	المبحث الأول: الإعلان عن الدستور 1876م
47-42	المبحث الثاني: سياسة الإصلاحات
55-47	المبحث الثالث: سياسة السلطان اتجاه الحركات الانفصالية
62-56	المبحث الرابع: السلطان عبد الحميد والمسألة الأرمنية
الفصل الثالث: السياسة الخارجية للسلطان عبد الحميد الثاني	

فهرس المحتويات

72-65	المبحث الأول: سياسة السلطان عبد الحميد الثاني من الحركات الاستعمارية
77-72	المبحث الثاني: السلطان عبد الحميد الثاني وحركة الجامعة الإسلامية
83-77	المبحث الثالث: موقف السلطان عبد الحميد من الحركة الصهيونية
91-83	المبحث الرابع: الانقلاب العثماني الكبير وخلع السلطان عبد الحميد الثاني من العرش
95-93	خاتمة
103-96	الملاحق
114-105	قائمة المصادر والمراجع
116-117	فهرس المحتويات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ